الرهبنة:
ذكر دائم للموت والدينونة

{١}
القديس يوحنا السلمي

📖 كما أن الفكرة تسبق الكلمة، كذلك فإن ذكر الموت والخطايا يسبق البكاء والنوح. ذكر الموت موت في كل يوم. ذكر الخروج من الدنيا تحسر في كل ساعة ــ مخافة الموت خاصة طبيعية نجمت عن المعصية، أما الارتعاد من الموت فدلالة على سقطات لم نتب عنها: لقد خاف المسيح من الموت، ولكنه لم يرتعد منه وذلك ليظهر خاصة كل من طبيعتيه جليا.



📖 كما أن الحاجة الى الخبز تفوق الحاجة إلى سائر الأغنية كذلك فان الحاجة إلى الاهتمام بذكر الموت تفوق الحاجة إلى سائر الأعمال الروحية، إن ذكر الموت يولد في العائشين في وسط العالم حزنا

وضياعا وبالأحرى فتورا في الهمة، أما عند الخارجين من ضوضاء العالم فيولد أقصاء للهموم وصلاة متواصلة ويقظة للذهن، وهذه تعود بدورها وتولد ذكر الموت.

📖 من العلامات الصادقة لذكر الموت، إحساس عميق من القلب الزهد الاختياري بكافة المخلوقات، والأعراض الكامل عن المشيئة الذاتية.

📖 من ينتظر الموت في كل يوم هو لا شك فاضل، ولكن من يتوق إليه كل سماعة هو قديس.

📖 ليس كل اشتهاء للموت صالحا. فان البعض تقسرهم العادة إلى السقوط المتواتر فيطلبون الموت من جراء ذلك. والبعض بالعكس لا يريدون أن يتوبوا فيبتغون الموت من جراء اليأس، والبعض يتوهمون باطلا انهم بلغوا اللاهوي وبالتالي لا يجزعون بعد من الموت. والبعض {اللهم ان وجدوا في أيامنا هذه} يتوقون الى الانصراف من هذه الحياة بفعل الروح القدس.

📖 يرتاب بعض المؤمنين الأتقياء متسائلين، لماذا كتم الله عنا معرفة ساعة الموت مسبقا ما دام ذكره ينفعنا بهذا المقدار، غير عالمين أن الله العجيب في أحكامه إنما صنع خلاصنا بهذا الكتمان، فانه لو علم أي منا بوقت وفاته مسبقا لما بادر الى المعمودية أو الى السيرة الرهبانية، بل لأمضي كل أيامه في الآثم منتظرا يوم انصرافه ليقبل الى المعمودية والتوبة. ولكنه من جراء عادته الطويلة يكون حينذاك قد رسخ في الرذيلة، وقد يبقى غير قابل للإصلاح بالكلية.

📖 إذا كنت تنوح على خطاياك فلا تقبل قط ما يوحيه إليك ذلك الكلب من أن الله محب للبشر، قاصدا أن ينزع عنك النوح والخوف العادم الخوف، إلا اللهم إذا رأيت ذاتك منجرفا الى يأس عميق.

📖 من يبتغي الهذيذ بذكر الموت وحكم الله على الدوام، وفي الوقت نفسه يدفع ذاته الى اهتمامات ومشاغل مادية يشبه إنسانا يسبح ويريد أن يصفق بكلتا يديه.

📖 أن ذكر الموت الواضح المستمر يقطع تناول الأطعمة، ومتى انقطعت الأطعمة بالاتضاع انقطعت معها الأهواء.

📖 إن أفعال الذهن النشيط العامل كثيرة أعنى بها التأمل في الله وفي حبه تعالى، وذكر الملكوت وغيرة الشهداء القديسين، وحضور الرب شخصيا على حد قول القائل: «رأيت الرب أمامي في كل حين»، وذكر الملائكة القديسين والخروج من الدنيا واللقاء الرهيب والحكم والعقاب. لقد ابتدأنا في سردنا هذا بالأمور الجليلة ولكننا انتهينا بالتي لا تخطئ.

📖 وكما أن لجة البحر لا حد لها ولا قعر، كما اعتاد أن يقول البعض، كذلك فان ذكر الموت يؤول بالطهارة والسيرة الى اللافساد.

📖 لا يخامرنا شك في أن ذكر الموت عطية من الله كسائر الصالحات، والا فكيف يتفق أن نزور المقابر مرارا كثيرة ونلبث قاسين لا دموع لنا، في حين إننا كثيراً ما نتخشع ونبكي خلوا من مثل ذلك المنظر.

📖 من مات عن الأشياء كلها يأتي على ذكر الموت، أما من لا يزال متمسكا بالعالم فيتآمر على نفسه.

📖 لا تطلب أن تؤكد لجميع الناس بالأقوال حبك لهم بل الأحرى بك أن تسأل الله إظهاره لهم بدون ما أقوال. والا فلن يكفيك مدى زمانك للتودد إليهم والتوجع على خطاياك معا ـ يا مجاهدا عادم الفطنة لا تنخدعن بإمكان التعويض عن إضاعة وقت بوقت آخر، فان كل يوم من أيامك لا يكفي لإيفاء دينه كاملا للسيد.

📖 قال أحدهم انه يتعذر نعم يتعذر علينا أن نعبر يومنا ببر وتقوي إن لم نحسبه اليوم الأخير من عمرنا. وانه لأمر غريب بالحقيقة أن

الوثنيين أيضاً قالوا مثل هذا القول، إذ حددوا الفلسفة {بأنها} بالانشغال بالموت.

{٢}
مار إسحق السرياني

📖 إن الحركة {الفكرة} الأولى التي تحل على الإنسان من قِبل محبة الله للبشر فتدخل إلى القلب وترشد النفس إلى الخلاص هي التأمل في خروجه من هذه الطبيعة الزائلة {الموت}، وهذه الحركة يتبعها بالطبع الازدراء بالعالم، ومنه تبتدئ في الإنسان كل حركة صالحة تقوده إلى الحياة، فهذه هي الحركة التي تضعها القوة الإلهية المرافقة للإنسان، تضعها فيه كأساس، متى أرادت أن تظهر فيه الحياة.

📖 فإذا لم يطفئ هذه الحركة بالانشغال بالمعاملات والاهتمامات العالمية وبالكلام الباطل، بل اهتم بتنميتها في نفسه بالسكون وملازمة التصور {التأمل} فيها، فإنها تقوده إلى تاورية، أو نظر إلهي عميق لا يمكن لأحد أن يعبِّر عنه أو يشرحه.

📖 وهذا الفكر {تأمل الخروج من العالم} ما أكثر مقت الشياطين له! إنه يحرص بكل قوته على قلعه من الإنسان، ولو أمكنه لأعطاه ملك العالم كله، يلهيه ويشغله به، في سبيل أن يقلع من فكره هذا الخاطر، فلو قدر كما قلنا لَفَعَل ذلك باجتهاد، لأن الغاش يعلم أن هذا الفكر إذا ثبت في الإنسان فإن عقله لا يستقر بعد في أرض الضلالة، كما أن حيل الغاش لا يمكن أن تقترب منه أو تلمسه.

📖 وليس كلامنا هنا عن ذلك الفكر الأول الذي يحرك فينا ذكر الموت بالتذكر فقط، بل عن كمال هذا الفعل {بالعمل} الذي يرسِّخ في الإنسان

ذكر الموت دون توقف، والذي بمداومة الهذيذ به يقوده إلى حالة من التعجب الدائم منه، أما ذاك الفكر الأول فهو فكر جسداني، أما هذه {الحالة} فهي منظر روحاني {أو تاؤريا} ونعمة عجيبة، وهذه النظرة الروحية تكون متسربله بحركات نورانية وبأفهام فاضلة، ومن اقتنى هذه النظرة لا يعود فيما بعد يهتم بأمور هذا العالم، ولا يجنح إلى الجسد.

📖 عندما تدنو من فراشك قل له: "يا فراشي لعلك تكون لي هذه الليلة لحداً {قبراً}. لست أعلم إن كان سيدخل إليَّ هذه الليلة ذلك النوم الأبدي بدل الوقتي. ما دام لك قدمان فأسرع بهما نحو العمل، قبل أن يُربطا بالرباط الذي لا ينحل. وما دامت لك أصابع، فارسم بها إشارة الصليب، قبل أن يدركك الموت. وما دامت لك عينان فاملأها بالدموع، قبل أن تخطى بالتراب. فكما أن الورد يذبل إذا مرت عليه الريح، هكذا تموت أنت إذا هبت الريح، وفقدت أحد عناصرك".

📖 ضع أيها الإنسان فكرة الذهاب في قلبك، وقل باستمرار: "ها قد وصل الرسول إلى الباب، وهو يتعقبني، فليم الجلوس؟

📖 لقد حضر الرحيل الذي لا عودة بعده.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الرابعة والثلاثون ـ صفحة ١٣٧

{٣}

الأنبا إشعياء الإسقيطي

📖 الذي يتأمل {مجيء} الموت عن قريب لم يخطئ كثير، والذي ينظره بعد زمان كثير في خطايا كثيرة يتشبك، والذي يعد نفسه ليعطي الجواب لله عن جميع أعماله، الله يهتم به، ليطهر جميع طريقه من

الخطية. قبل أن تعمل أي عمل كل يوم اذكر كيف أنت تخرج من الجسد؟ إلى أين تمضي؟ ولم تتهاون بنفسك ولا يوم واحد.

{٤}
قديسون أخرون

📖 **السعي في طلب النعمة:**

📖 وكما انه يوجد مهاجمون يجولون في الطرق الضيقة، ويمسكون بالعابرين ويغتصبون منهم أموالهم. هكذا فإن الشياطين يتجسسون على النفوس، ويحاولون إن يمسكوا بها.

📖 وعند خروج النفوس من الأجساد، فإنها إن لم تكن مطهرة تماماً، فانهم لا يدعونها تصعد إلى منازل السماء لتلاقي الرب، بل تسقطها شياطين الهواء إلى أسفل.

📖 وأما إن كانت وهي في الجسد تسعى، وتطلب من الرب نوال النعمة التي من الأعالي، فإن هذه النفوس بلا شك، تشترك مع أولئك الذين سبق إن دخلوا بسيرتهم الفاضلة، وتمضي معهم إلى الرب، كما وعد هو قائلاً: "حيث أكون أنا هناك أيضاَ يكون خادمي" {يو ١٢: ٢٦}. ويملكون إلى أبد الدهور مع الآب والابن والروح القدس، الآن والى دهر الدهور آمين.

كتاب عظات القديس مكاريوس ـ العظة الثالثة والأربعون ـ صفحة ٢٨٠ ـ ٢٨٣

📖 **وقالت القديسة سارّة:** إنني أضع رجلي على السلّم لأصعد، وأضع الموت أمام عينيَّ قبل أن أنقل الرجل الثانية!

📖 **سأل إخوةٌ شيخًا:** ما معنى قول الأم سارة السابق؟ وهكذا قيل أيضًا عن آباء آخرين إنهم كانوا في كل وقتٍ يضعون موتهم أمام أعينهم، فكيف يكون ذكر الموت الدائم؟

فقال الشيخ: يكون ذلك بموهبةٍ من الرب، ولكنّ الموهبة لا تكون بدون عمل. فالآباء يتعبون أولاً، ويغصبون أنفسهم على تذكُّر مخافة الله، والدينونة المزمعة، وعقوبة جهنم، وذكر الموت الدائم، ثم ينالون القوة والمعونة كموهبة من المسيح.

وذلك كما قال ق. مرقس {الناسك} إنّ مخافة جهنم، ومحبة الفردوس، تُعطيان الصبر في الشدائد، ليس منهما بل من الذي يعرف أفكارنا. فليس من مجرد تذكُّر جهنم يمتنع الإنسان عن الخطايا، ولا من ذكر الملكوت يغلي {يمتلئ بغيرةٍ حارة} لأجل أعمال البرّ.

لأنّ كل إنسان يذكر ذلك، ولكن ليس كل إنسان يربح من ذلك، إلا إذا نال القوة والمعونة من العليّ.

وذلك كما أُعطِيَ للشيوخ الثلاثة الذين ذهبوا إلى أنبا شيشوي أن يتذكّر أحدهم دائمًا النار، والآخر الظلمة الخارجية، والثالث الدود الذي لا يموت وصرير الأسنان.

فقال لهم أنبا شيشوي: إن كانت أفكاركم مسلّطة {مركّزة} على هذه كلها فلا يمكن أن تخطئوا.

كتاب فردوس الآباء - القديسة الأم سارة - الجزء الثالث - صفحة ٧٤ - ٧٥

قال شيخ:

"إني مرتعب فزع من تلك الشدة، التي سوف تعانيها النفس عند خروجها من الجسد، إذ تأتيها أجناد الشر، وما سكوا ظلمة هذا العالم الخبيث، فيأخذونها، ويظهرون لها كل ما عملته من الخطايا بمعرفة، وبغير معرفة. ويحاجونها على كل ما عملت.

فأي شدة ورعب تلحق بالنفس في تلك الساعة، حتى يصدر الحكم بمصيرها، وتصبح في عتق. هذه هي ساعة الشدة، التي تقاسيها حتى تبصر خاتمة أمرها.



📖 فإن كانت مستحقة النعيم، يأخذها الملائكة بكرامة، ويحفظونها من الشياطين الأشرار، وحينئذ تصبح من ذلك اليوم معتوقة منهم، كما هو مكتوب: "إن مسكن جميع الفرحين فيك يا مدينة الله".

📖 وحينئذ يتم المكتوب: "إن الوجع، والتنهد، والتعب، يهرب،". وحينئذ تفلت من أجناد الظلمة، لتمضي إلى لك المجد الأسني الذي لا ينطق به.

📖 أما إن وجدت النفس وقد عائشة بالتواني، فإنها تسمع ذلك الصوت المحزن: "ليبعد المنافق كيلا يعاين مجد الرب". وحينئذ يدركها يوم السخط، يوم الحزن، والشدة، يوم الظلمة، وظلال الموت. فتلقي في الظلمة الخارجية، ويحكم عليها بالعذاب المؤبد، في نار غير منطفئة. حيث يهرب كل نعيم، والتذاذ، وحيث لا يوجد فرح، ولا نياح، ولا غني، ولا جاه، ولا من يخلص من ذلك اللهيب المعد للنفوس الخاطئة.

📖 فإذا كانت هذه الأمور هكذا، فأي تدبير ذي أمانة، وقداسة، ينبغي لنا أن نتدبر به في هذا العمر. وأي تسبيح، وأية صلوات، واي تحفظ، يجب أن نقتني بغير دنس، وبغير عيب، بطهارة، وسلام، لتؤهلوا لسماع ذلك الصوت المملوء فرحا القائل: "هلموا يا مباركي أبي، رثوا الملك المعد لكم من قبل إنشاء العالم"، الدائم إلى دهر الداهرين آمين.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٠٠ ـ ٣٠١

📖 **سأل إخوة أثناسيوس الرسولي:**

📖 "لماذا نري قوما من الصديقين ينازعون {عند الموت} أياماً، ويحاسبون؟ وقوماً خطاه نراهم يقضون أجلهم بسكون وهدوء؟".

الجواب: "إن عرفنا جميع أحكام الله فنحن إذن آلهة. فيحسن بنا ألا نفتش تفتيشا زائدا عن مثل هذه الأحكام.

لأنه يتفق أن رجالاً أبراراً يعاقبون في وقت نزعهم الأخير، لنري نحن ذلك، ونفزع، ونخف. كما أنه ربما كان لأولئك القديسين – بما أنهم بشر – زلة صغيرة، فينظفون بذلك العقاب في وقت نزعهم تنظيفا تاماً بليغاً، ويمضون بلا عيب أنقياء".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٠١ - ٣٠٢



قال القديس إغريغوريوس:

"إن هذا النزع {عند الموت} ينظف النفوس الخارجة من العالم، من الخطايا الدنية الخفيفة، وذلك بحسب ما سمعته من رجل قديس، حكي لي عن قديس أخر فقال: "إنه لما حضرته الوفاة فزع فزعاً عظيماً، وبعد موته ظهر لتلاميذه بحلة بيضاء، دالاً بذلك على البهاء الذي حصل عليه".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٠٢



تحدث الآباء: عن شيخ أخذت روحه، وبعد ساعة رجعت إليه.

فسألوه: "ماذا أبصرت يا أبانا؟" فقال وهو يبكي: "سمعت هناك قوما يقولون وهم باكين: الويل لي، الويل لي".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٠٢



طلب أحد الأخوة من أنبا آمون الأسقف أن يقول له كلمة:

فقال له الشيخ: "أمض، وتمثل في فكرك دائماً حال فعلة الشر الذي في السجون، فأنهم في كل ساعة يسألون عن الوالي، وأين هو، ومتي يجيء، ومتي يجلس للحكم، ومن شدة فزعهم يبكون".

وهكذا سبيل الراهب أن ينظر دائماً إلى نفسه، ويبكتها قائلاً: "ويحي كيف أقف أمام منبر المسيح، وكيف أستطيع أن أجيبه، فإن كان يتلو ذلك دائماً فإنه يستطيع أن يخلص".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٢٠



{٥}
القديس مار أوغريس

📖 الشياطين الأردياء يسكرون النفس بحجة أن هناك توبة.

📖 أما أنت أيها الإنسان الناسك، فلا تدعهم يطغوك بهذا الفكر، فإن كثيرين سقطوا وطفوا من هذه الحياة بسرعة، وآخرين لم يستطيعوا القيام من سقطتهم وارتبطوا بعادات سيئة كعادة لهم، أخبرني إن كنت تعرف إنك تحيا حتى تتوب؟

📖 فاتخذ لنفسك تذكار الموت، وصور خوف الدينونة في قلبك لكي تستطيع أن تلقي عنك فكر الجسد الطاغي.

كتاب تعاليم مار أوغريس ـ صفحة ٣٥



📖 **{٥٢}** إن فصل النفس عن الجسد هو من قدرة ذاك الذي جمعها معا. ولكن فصل النفس عن الجسد، يقع أيضاً بالاشتراك مع قدرة الإنسان الذي يمارس الفضيلة، لأن آباؤنا أعطوا التأمل في الموت، والانطلاق من الجسد اسم" الحياة الروحية.

كتاب التداريب الروحية ـ لمار أوغريس ـ صفحة ٤٠



📖 **ومن أقوال القديس أوغريس:**

📖 "إن من كان همه في تذكار الموت، فذلك يهديه بخوف الله".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٠٠



{٦}
القديس أوغسطينوس

📖 يا بني، أريد منك إلا تميل منْ ينعمون في هذا العالم بسعادة كاذبة، باطلة، ومغرية، لا تغذي سوى كبريائهم، فيجف قلبهم من الله، ويقسو على شآبيب {الدُّفْعةُ من المَطَر} فلا يعطي ثمراً. أريد منك إلا تنصرف إلى ما يُري، بل إلى ما لا يري، لأن ما يري زمني، وما لا يري أبدي. وعودُ العالم دائماً كذابة، ووعود الله دائماً صادقة.

📖 وبما أن العالم يبدو لك، وكأنه يحقق وعوده في أرض الأموات هذه، بخلاف مَنْ يحقق وعوده لك في أرض الأحياء، أراك تملّ من ترقبّ السعادة الصحيحة، وتهوي بلا خجل سعادة كاذبة.

📖 تأمل في الكتاب القائل: "الويل لكم أيها الذين فقدوا الصبر، ومالوا إلى طرق السوء" {سيراخ٢:١٦}.

📖 إن أبناء الموت الأبدي لا ينفكون يوجهون الإهانات إليك أيها المجاهد العامل، برجولة المستمسك بالله بقلب ثابت، ويفاخرون بأفراحهم الدنيوية، التي لا تروي لهم غليلاً إلا إلى زمن، ثم يجدونها أمرَّ من العلقم. ويقولون: أين ما يعدك به بعد الحياة الحاضرة ومن ذاك الذي عاد من هناك ليؤكد لك صحة ما تؤمن به؟

📖 أنظر إلينا نتمتع فرحين بملذاتنا نحن الذين نرجو ما نري.

📖 أما أنت فإنك تشقي من متاعب العفة، مؤمناً بما لم تر، ثم يزيدون ما ذكرّ به الرسول في قوله: "فلنأكل ولنشرب لآنا غداً نمون".

📖 ولكن، تأمل بما حذرنا منه هو عينه حين قال: "فلنأكل ولنشرب لأننا غداً نموت". ولكن، تأمل بما حذرنا منه هو عينه حين قال: "استفيقوا للبر، ولا تضلوا، إن العشرة الرديئة تفسد الأخلاق السليمة" {١كور١٥:٣٢-٣٣}

📖 إياك أن تفسد أخلاقك، بمثل هذا الكلام فيضعف صبرك، ويضيع أملك، وتسير في طرق السوء. تسلَّحْ بالرجاء الحقيقي، ولتكن لك ثقة

عظمي، وليكن كلامك مطيبَّاً بملح النعمة، لتعرف أن تجيب كما يليق، كل إنسان.

📖 أجب: أين ملذاتكم أيها الباحثون عنها في طرق السوء؟

📖 أنا لا أقول: ماذا تكون حالك بعد هذه الحياة؟ بل، ما هي حالك الآن؟ وكما أن اليوم الذي نحن فيه قد مضي على يوم أمس، والغدَ يغيّب يومنا هذا، فلمَ لا ينقضي ويزول يوم الملذات التي تحبون؟

📖 ولمَ لا يهرب منذ أن يُلْقي القبضُ عليه، طال ما أن الاحتفاظ به غير ممكن ساعة واحدة، ولا يوماً واحداً، في هذا الحاضر؟

📖 وكما يطوي اليومُ الثاني اليومَ الأول، هكذا يطوي الثالثُ الثاني، ومن هذه الساعة التي تبدو حاضرة، لا يبقي شيء منها، لأن هنيهاتها وأجزائها هاربة. ولهذا يأثم الإنسان حين يخطأ هذا إذا لم يكن أعمي.

📖 وحين يخطأ فعليه أن يفكرّ، يمكنه أن يري البشر يشتهون اللذة بلا فطنة، لأنها لذة عابرة وإذا انقضت فليفكر أقله بالندامة عليها.

📖 إنكم لتهزأون بي لأني أرجو الأبديات التي لا أراها، في حين إنكم تستسلمون للزمنيات المنظورة، وتجهلون الغد الطالع عليكم، وإذ ترجون أن يكون يومَ خير، إذا به يوم شؤم، ومتى جاء فلا يمكنكم أن توقفوه عن الهرب.

📖 إنكم لتهزأون بي لأني أرجو الأبديات التي لا تنقضي، لأنها لا تأتي بل تثبت إلى الأبد، إنما أنا أجيء إليها، سالكاً طريق الرب، فأجدها في نهايتها. أنتم لا تنفكون، طوال يوم واحد، ترجون الخيرات الزمنية.

📖 **الخيرات الزمنية:**

📖 وإن خدعتْ حدسكم، إنها تضرم أشواقكم متى طلبتموها، وتفسدكم متى نلتموها، وتعذبكم متى فقدتموها، أو ليست هي الخيور عينها

التي أضرمت رغباتكم، حتى إذا ما حصلتم عليها، حطت من كرامتكم، وإذا أردتم الاحتفاظ بها، تلاشت بين أيديكم؟

كيف تستخدم الزمنيات؟ أنا أستخدمها وفقاً لحاجات السفر، إنما لا أضع فيها سعادتي، كيلا أفشل إذا فاتتني، واستخدم هذا العالم كمن لا يستخدمه، رغبة في الوصول إلى خالقه، لأثبت فيه، وأستمتع به إلى الأبد.

وما معني قولكم:

من ذا الذي عاد إلينا وأخبرنا عما يجري في جهنم؟

لقد أخرسكم ذاك الذي أقام الميت من قبره في اليوم الرابع، وقام في اليوم الثالث هو الذي لن يموت، وهو الذي لا شيء يفوته، وصف لنا قبل موته، في مثل الغني والفقير، الاستقبال الذي يعُدّه للأموات.

أذهبوا الآن وقولوا: فلنأكل ولنشرب لآننا غداً نموت.

الحق يجدهم موتي حين يقولون هذا القول، زاعمين إنهم سيموتون غداً. أما أنت يا ابن القيامة، ومؤُاطن الملائكة والقديسين، ووريثَ الله، وشريك المسيح في ميراثه، فإياك أن تقتدي بهؤلاء الذين يموتون غداً، حين يلفظون أنفاسهم، ويدفنون اليوم في قبورهم وهو يشربون.

يقول الرسول بالمعنى عينه:

"استفيقوا للبر ولا تضلوا، إن العشرة الرديئة تفسد الأخلاق السليمة" أنت تسير في طريق ضيقّ وآمن، أنه يوصلك إلى أورشليم السمائية، الرحبة، التي هي أم لنا إلى الأبد، ترجّ بثبات ما لا تري، وأنتظر بصبر ما ليس لك طالما أنك تمسك، مخلصاً، بالسيد المسيح الواعد الصادق.



عواطف وصلوات

📖 في خضم هذا العالم القلق سألتك يا رب أن تصغي إلى طلبتي بأي شيء أفرح؟ وممّ أحزن وأكتئب؟ إني أغتبط بما أنقضي لي من أيام، وأكتئب لما بقي لي منها، الآني قطعت تلك المسافة الشاسعة، وطويت ذاك العدد الكبير من الأيام لا أبكي؟

📖 وهل أكف عن البكاء لأنه بقي لي زمن طويل، اشتهي فيه، وأتوق إلى تحقيق رغبتي؟ صحيح أن الآثم يكثر كلَّما كثرت الشكوك، وأنه: "كلما كثر الآثم جفت محبة الكثيرين"؟ متى٢٤:١٢".

📖 "ومن يعطي رأسي ماء وعيني ينبوع دموع" أرميا٩:١

📖 "استمع صلاتي يا رب وأصغ لاستغاثتي ولا تصمت عن دموعي وكلمني"مز٣٨:١٣". ولا تصمت معي لئلا أصاب بالصمم إلى الأبد، لا تقطع كلامك معي فأني أسمعك، وقل لنفسي: أنا خلاصك".

📖 كغريب أقيم بقربك، ويوم كنت تحت نير الشيطان كنت أقيم بقربه، قربّ معلّم شرير، أما الآن وقد أقمت بقربك حقاً فلم أعد غريباً عنك.

📖 غريب أنا في سفري ونزيل. قد أعطيتني لسكناي بيتاً لم تصنعه الأيدي. بيتاً أبدياً في السماء، إن كان هذا المسكن الأبدي في السماء فلن أكون فيه غريباً.

📖 أيها الرب إلهي كن سعادتي فآتي إليك، أنا لا أريدها، ولا فضة، ولا قنياناً، ولا في هذه الحياة، غنى باطلاً وسريع الزوال.

📖 كن غناي فلا أفقدك، ولا أهلك متى حصلت عليك.

📖 كن وحدك سعادتي "لأنه طوبي للشعب الذي الرب إلهه"مزمور١٤٣:١٥. هبني ذاتك يا إلهي، وأستسلم إلى لأني أحبك، وإذ لم يكن حبي لك كافياً فزدني منه.

📖 عاجز أنا عن معرفة ما ينقص محبتي لتصبح كافية، لإلقاء حياتي بين ذراعيك، وتوجهيها إليك لتختبئ في سر وجهك.

📖 أنا أعرف أن كل ما عداك يسئ إلى، أكان في الداخل أم في الخارج، وأدرك أن كل ما أعتبره غني لي. ما خلاك، بؤسّ هو وشقاء.

كتاب خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ـ للقديس أوغسطينوس ـ صفحة ٧ ـ ١١

حياة الإنسان قصيرة ومجهولة الأجل

📖 ما هي حياة الإنسان؟ "إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل" يعقوب٤:١٥. على حد قول الكتاب المقدس، إن السنوات التي تبدو طويلة، قصيرة هي بعين الله، لأن الله لا يحصيها كما تحصيها أنت، لقد كان يوم سُمّي اليوم: ابتداءً منه إلى يومنا هذا، كلّ ما كان مستقبلاً، أصبح ماضياً، وكأنه لم يكن، وهلم جرا حتى النهاية.

📖 فليكن هذا الوقت بمقياس ما تصورُه مخيلتُك، وبقياس ما تقول، وتفكر، وتحدد، وطولّ حياتك ما شئت.

📖 ثم بعد، أليس لك يوم أخير من عمرك، تترك فيه هذا الجسد، وتنبسط إلى البعيد؟ وماذا يعني العمر الطويل ها هنا، إذا لم يبلغ الإنسان الشيخوخة؟

📖 وما فائدتك منه طالما أنه يؤدي بك حتماً إلى الشيخوخة؟

📖 مهما بدا لك الوقت طويلاً، فلابد من أن تعترف بقصره متى أتاك الموت، وأنتهي أجلك. قصير هو كل يعبر ويزول.

📖 هبْ أن آدم بقي حياً رزق حتى أيامنا هذه ثم مات، فماذا ينفعه طول عمره؟ تأمّل فيما لو بقي عمر واحد: يريد الأطفال أن يكبروا، ولا يدرون أن حياتهم تنقص كلما توالت فيها السنون.

📖 السنون لا تزداد مع العمر، بل تُستخرج منه كمياه النهر، التي كلما تقدمت في الأرض ابتعدت عن ينبوعها.

📖 **أن أقبل عمرٌ أدبر آخر:**

📖 إذا أقبل الشباب أدبرت الطفولة.
📖 وإذا أقبلت سن المراهقة، أدُبرت الطفولة.
📖 وإذا أقبلت الشيخوخة، أدُبر الشباب.
📖 وإذا أقبل الموت، أدُبرت كل حياة.
📖 إن شئت أن تعيش عدداً أكبر من السنين، تمنيت أن تطوي لنفسك أكبر عدد من الأوقات.

📖 لا يثبت عمرنا على حال:
📖 تعب دائم، وملل دائم، وفساد في كل مكان، ومع ذلك تتمني العمر الطويل، ولا تخشى الحياة الشريرة، لأنك تريد أن تعيش طويلاً، وإن شراً إنكَ تبحث عن شر مديد، فلما لا تبحث عن خير مديد؟

📖 وتقول:
📖 بعيد هو يوم موتي ـ ومن ذا الذي أنبأك بأن يوم موتك بعيد؟
📖 ومن أين لك أن تقول إن موعد أجلك بعيد؟
📖 إلا تحمل في جسدك علة موتك؟
📖 ألست أسرع عطباً من الزجاج؟ ومع أن الزجاج سريع العطب فحفظُة، طويلاً ممكن، كم من كؤوس خلفها لك الآباء والأجداد، وشرب فيها الأحفاد وأبناء الأحفاد، ثم حُفظت طويلاً مع أنها سريعة العطب. أما أنت أيها الضعيف، السائر عرضة لأخطار كثيرة، كل يوم وإن لم تفاجئك الأخطار فلست قادراً على أن تعيش طويلاً.

📖 **يموت الناس كل يوم**:
📖 يشيع الأحياء موتاهم، ويحتفلون بجنازاتهم، معلّلين أنفسهم بالحياة، ولا يقول واحد منهم: على أن أصلح نفسي، كيلا أكون غداً نظير من أشيعه اليوم.

أعمل إذن يا بنيّ وأصلح ميولك الشريرة، ليكن الخوف فيك الآن، طالما لا بد من الخوف. إن كان يوم الدين بعيداً، فيومك الأخير لن يكون بعيداً، والحياة قصيرة، وطالما أن مدة حياتك مجهولة، فإنك ليومك الخير جاهل أيضاَ.

أصلح ذاتك اليوم من اجل الغد:

إنكَ تعمل إلى زمن، ولست تعمل إلى الأبد، تعبك قصير، أما سعادتك فإلى الأبد. إلى زمن حزنك، أما فرحك فإلى الأبد.

إن فرحت في الزمن، فلا تثق بهذا الفرح.

وإن حزنت في الزمن، فلا تيأس.

لا تفسدنَّك السعادة، ولا تحطمنَّك الشدة.

العاذر والغني:

كم طال شقاء العاذر؟ وكم دام غني الغني العائش كل يوم في رغد، يلبس البرفير والأرجوان؟ لقد تبادلا ما هو إلى الأبد.

لسنين معدودة شقاؤك، إنما لن تنقصك التعزية، ولن تحُرم الأفراح.

لكن، لا تفرح بالعالم، بل أفرح بالمسيح، وكلمته، وشريعته.

سر مؤمناً، وأصلح أخلاقك، وعش كمسافر، وأعلم إنكَ راحلٌ تخطأ قليلاً. لا تتهاون في عملك الآن، ليكون فرحك إلى الأبد.

عواطف وصلوات

رب، شكراً لك يا من شئت أن يكون عمري قصيراً ومجهولاً.

وهل من طول فيما ينتهي؟

لا أستطيع أن أستعيد يوم أمس، ويومي هذا يدفعه عنى غدي، ليخّرج هو أيضاَ بدوره. في هذا المدى القصير من الزمن، يجب على أن أحيا حياة صالحة، لكي أذهب حيث أبقي.

📖 والآن إذ أتكلم أعبرُ حقاً، الكلام يطير بسرعة من بين الشفاه وينقضي، كما تنقضي أعمالي وأمجادي وبؤسي وسعادتي، هكذا ينقضي كل شيء.

📖 رب، الويل لي إن أصدقائي يقولون لي: نتمنى لك سنين عديدة، فأتمني أنا أن تتحقق فيُ رغباتهم، فإذا بالسنين تأتي ثم تليها السنون، ولا أريد لها نهاية. رغباتي متناقضة: أريد أن أمشي، وألا أصل.

📖 رب، أظهر لي ذاتك، إني أعمل كل شيء لكي أراك، فإذا بي أعدو في أثر رائحة عطرك.

📖 لقد جئت ونشرتَ رائحة طيبك، فملأ شذاك العالم.

📖 إني إلى السماء على خطاك، إذا لم أشأ أن أعطي جواباً خاطئاً على قولهم لي: قلبنا وحبنا ورجاؤنا إلى العلى.

📖 أنا على خطاك حتى السماء، لئلا أفسد فوق هذه الأرض.

كتاب خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ـ للقديس أوغسطينوس ـ صفحة ٣٢ ـ ٣٥

في حتمية الموت

📖 زمن حياتنا ها هنا سباقٌ إلى الموت، حيثُ لا توقفٌ، ولا تباطؤ: بل الكل مدفوعون بنفس الحركة إلى الهدف.

📖 وليس لمن كان عمره أقصر من سواه، أن يطوى نهاره بأسرع ممَّن كان عمره أطول، على السواء تنْزعُ الأوقات منهما، فهذا يري هدفه أقرب، وذاك يراه أبعد، إنما كلاهما يسيران بالسرعة عينها.

📖 أن يلاحق الإنسان حياته طويلاً شيء، وأن يسير فيها ببطٌ شيء أخر. وبالنتيجة. فمن يقطع على طريق الموت زمناً طويلاً، لا يعني انه يقطع مسافة أطول.

📖 وبما إنكَ مولود فمن المحتم عليك أن تموت.

📖 المرض ضروري ها هنا ليدفع بك إلى الموت.

📖 من الواضح أن الأطباء حين يعاينون المرضى يقولون مثلاً: إن هذا مصاب بداء الاستسقاء، وهو مرض غير قابل للشفاء.

📖 وهذا الآخر مصاب بداء البرص، ولن يشفي منه.

📖 وذلك مسلول، وموته محتم.

📖 ومن ذا الذي استطاع أن يشفي من السل؟ لقد لفظ الطبيب حكمه عليه بأنه مسلول، ومع ذلك فليس من المحتمَّ عليه، ولا على المصاب بهذا الداء أن يموت، وأن يكون محتوماً على كل مولود أن يموت.

📖 يموت الإنسان لأنه مولود، وما كان بخلاف ذلك فهو مستحيل.

📖 **أنت مولود، ولهذا تموت:**

📖 إن هربت من الموت، أو تحاشيته، أو دفعته عنك، فلا يسعك أن ترجئه، أو تمنعه عنك، أنه لآت حتماً، ولو أبيتَّ، وفي ساعة لا تعلمها. ولماذا تخافُ ما هو آت رغماً عنك؟، أحر بك أن تخاف ممّا لن يكون، ما لم ترده أنت.

📖 قارن بين هذين الأمرين: بين الموت الذي يتم في برهة من الزمن، والعقاب الذي يدوم إلى الأبد. إنكَ تخشى الموت الذي يتم في برهة من الزمن، والعقاب الذي يدوم إلى الأبد.

📖 إنكَ تخشى الموت الذي يأتي في برهة رغماً عنك، فاخش بالأحرى العقاب الذي لن يحصل ما لم ترده أنت. أن ما يجب عليك أن تخشاه لأفظعُ بكثير، وباستطاعتك أن تتجنبَّه.

📖 وأنه لشرّ فظيع طويلُ المدى، عليك أن تخشاه طالما ما إنكَ تستطيع أن تمنعه عنك. في الواقع، إنكَ إن عشتَ عيشةً صالحة، أو شريرة، فسوف تموت، ولا مفرَّ لك من الموت، ولكن إن عشت عيشةً صالحة فلن تلُقي في العذاب الأبدي، وطال ما إنكَ تستطيع ها هنا أن تتمني عدمَ الموت، فاخترْ أن تكون مع الأحياء، لئلا تموت إلى الأبد.

📖 كم من مشقات يتحملها الإنسان تطويلاً لمدة عذابه، وإذا هدده الموت نراه يسعى إلى تجنبه، لماذا؟ ألكي يخافه زمناً أطول؟

📖 **العمل من أجل الحياة الإنسانية:**

📖 أي عذاب لا يذوقه أولئك الذين يعالجهم الأطباء، ويجُرون لهم العمليات؟ أيتحمَّلون ذلك كله كيلا يموتوا؟ أما لكي يطيلوا أعمارهم يوماً، أو أكثر؟

📖 إن كان الناس يتحملون تلك المشقات، ويقومون بتلك الجهود، ويتكبدون نفقات باهظة، ويواظبون على السهر، والعناية تطويلاً للعمر وإن قليلاً، فأحر بهم أن يسَعوا ويعلموا لكي يحيوا إلى الأبد.

📖 وهبْ أن من اتخذوا تلك الوسائل تأخيراً للموت قليلاً، وتطويلاً للعمر أياماً قصيرة، قد سُمّوا حكماء، فما أغباك لو عشتَ عيشة تسببتْ لك بخسارة اليوم الأبدي.

📖 **العالم ينهار:** يا من تعمل ما بوسعك لترجئ موتك قليلاً، أعمل ما شئت لئلا تموت إلى الأبد، الويل لك، إن العالم ينهار إذا كان العالم ينهار، فلما لا تتركه؟

📖 لو قال لك مهندس معماري أن بيتكَ ينهار، إلا تبدأ تتركه ثمَّ تتذمَّر؟ ومهندس العالم يقول إن العالم ينهار، ثم لا تصدقه؟

📖 أصغ إلى صوت الواعظ ونصيحة المرشد: الواعظ يقول: "السماء والأرض تزولان" متى٣٤:٣٥".

📖 والمرشد يقول: "لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض" متى٦:١٩.

📖 إذا أمنت بكلمة الله، ولم تحتقر إرشاداته، فأعمل بموجبها، لأن من أعطاك تلك المشورة لا يغشّك، وأنت فلست تخسر ما أعطاك، بل سوف تتبع خيرك حيث أرسلته.

📖 وإليك النصيحة: "أعط المساكين فيكون لك كنز في السماء" متى١٩: ٢١. إذ ذاك لن تبقي بلا كنز، لأن ما تتمتع به على الأرض قلقاً، سوف تتمتع به في السماء مطمئناً.

📖 **قايضه به:** نصيحتي إليك للخلاص، وليست للهلاك، سيكون لك كنز في السماء، سرْ على خطي المسيح تصلْ إلى كنزك، وبذلك تربح ولا تخسر.

📖 إنكَ تلُقي في الأرض حنطة، ثم يأتي صديق لك عالم بطبيعة الأرض والحنطة، فيكشف لك جهلك قائلاً: ماذا صنعت؟ لقد ألقيت الحنطة في أرض عميقة رطبة، لهذا سوف يفسد بذارك، ويضيع تعبك فتجيبه: وماذا أعمل؟ "أَذهب من هنا إلى فوق".

📖 أو تسمع نصيحةً يعطيها صديق بشأن الحنطة، وتهمل نصيحة الله بشأن قلبك؟ أتخشى أن تلقي حنطتك في أرض غير صالحة، وتلقي قلبك في أمور الأرض؟ ها أن الرب إلهك يعطيك توجيهاً لقلبك: "حيث يكن كنزك يكن قلبك " متى٦:٢١.

📖 أرفع قلبك إلى السماء لئلا يفسد على الأرض، بهذا ينصح من يريد أن يخلص لا أن يهلك.

عواطف وصلوات

📖 رب، حررْ نفسي من متاعب هذا العالم وضيقاته، لأن اللحم الفاسد وتجاربهَ سجنٌ لي. أملْ بإذنك إلى، لأني أومن، وفي أيامي أدعوك قائلاً: ربّ، خلص نفسي، أيامي هي أيام موتي، وكما شاء آدم فأنها ملأي بالتعب، والعرق، ومناسبة للفساد القديم.

📖 مختلفة أيامي عن أيامك، أيامي هذه التي كوّنتها لي بجسارتي حين تخلَّيتُ عنك، وبما إنكَ مالك في كل مكان، وذو سلطان، وقدرة، فقد استحققت السجن، أني قبلت ظلمات الجهل، وقيود الموت.

في أيامي أدعوك قائلاً: "حرر نفسي من سجنها مزور١١٤:٢-٣.

اللهم، يا أبي يا من تحثّني على الصلاة، وتعطيني ما أطلب منك، استجب لي أنا الذي أتخبَّط في ظلماتي ها هنا، وأبسط إلى يمينك: أشرق نورك عليَّ وردَّني عن ضلالي، فأعود إلى نفسي تحت قيادتك. أمين.

كتاب خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ـ للقديس أوغسطينوس ـ صفحة ٣٦ ـ ٣٨



في أن ساعة الموت المحتوم مجهولة

هل اثبت من الموت على الأرض؟

تأمل ما في هذه الحياة من خير وشر، تأملّ في البر، وفي الآثم، هل من شيء ثابت ها هنا كالموت؟ لقد أحرزت تقدماً، فصرت تعرف ما أنت عليه اليوم، وجهلت ما ستؤول إليه غداً.

إن طلبت مالاً، فلست تدري إن كنت ستحصل عليه.

وإن طلبت زوجة، فقد لا ترضي بها، وتجهل ما قد تكون.

وإن طلبت بنين، فليس من الكيد أن يولدوا، وإن ولدوا فليس من الكيد أن يعيشوا، وإن عاشوا فلست تدري إن كانوا من الناجحين، أم لا؟ أنيَّ توجهت، ووجدت كل شيء مجهولاً: الموت وحده ثابت.

أنت فقير؟ من يدري إن كنت ستصير غنياً؟

أنت أمّي؟ من يدري إن كنت ستصير مثقفاً؟

أنت مريض؟ من يدري إن كنت ستتعافى؟

وماذا يفيدك هذا الكلام، وأنت عالم بأنَّ يومك الأخير آت حتماً؟

يحسن بك أن تنتظره، وتجهل أجله، وتستعد باطنياً بحياة صالحة، حتى تحب ذاك اليوم، ولا تخاف منه.

أنت مولود؟ ستموت حتماً.

وبما أن الموت محتوم، فأجله مجهول.

وكما أنه يزيد في شقاء الكفرة، هكذا يضع حداً لشقاء الصابرين.

🕮 من أية فئة تريد أن تكون؟ عليك أن تختار الآن طال لما يسعك أن تختار، أما بعدئذ فلا.

🕮 اختر في الوقت المناسب طالما أن الله يؤخر، ما يخفي، برحمةً منه، وكيف تخطأ مرجئاً توبتك من يوم إلى يوم، برغم إنكَ تجهل يومك الأخير؟

🕮 أيا كنت، يا من لا يريد أن يصلح نفسه الآن، بماذا تعدُ نفسك وماذا تقول؟ أعيش على هواي فترة من الزمن وجيزة، ثم أصلحُ ذاتي، طال لما أن النبي يقول: "ليست مرضاتي بموت الخاطئ، لكن بتوبة المنافق عن طريقه فيحيا".

🕮 يمحو الله جميع آثامي متى تبتُ إليه، فلما لا أضيفُ إلى أفراحي هذا النزر اليسير. ولما لا أعيش على هواي مدةً أطول، طال لما أن التوبة إلى الله أمرٌ لا بد منه؟

🕮 ولما تقول هكذا؟ لأن الله وعَدني بالصفح إنْ أنا غيَّرتُ حالي.

🕮 إني أري وأدرك أن الله وعد بالصفح، وعدك به على يد النبي القديس، كما وعدك به بواسطتي أنا أحقر عبيده: ولقد أعطي هذا الوعد أيضاَ بواسطة ابنه الوحيد.

🕮 وهل تزيد أيامك شراً على شر؟ "يكفي كل يوم شره" متى٦:٣٤.

🕮 أمس شرٌّ، واليومَ شرٌّ، وغداً شرّ.

🕮 أتظنها أيامَ خير تلك التي تشبعها من الملذات؟

🕮 أتظن إنكَ تُحْسن استعمال يومك بتناولك، وليمة فاخرة؟

🕮 وهل يكون النهار صالحاً، إذا كان الإنسان شريراً؟

🕮 أتريد أن تزيد الأيام شراً على شر؟

🕮 إن كان الله قد وعدك بالصفح، فمنَ يضمنُ لك العيش إلى الأبد؟

📖 اقرأ من الأنبياء، والإنجيل، والرسول، حيث يقولون أن الله يمحو خطاياك كلها حين تتوب إليه: اقرأ عليَّ الموضع الذي يعدك فيه بأن تعيش للغد، ثم عش يومك هذا على هواك.

📖 **مع انه ليس لي أن أقول لك:**

📖 قد تكون حياتك طويلة، وإن كانت طويلة فلتكن صالحة، ولماذا ترغب في حياة طويلة وشريرة؟ أما أن تكون هذه الحياة قصيرة وتفرح بحياة طويلة، لا نهاية لها، وأما أن تكون طويلة، وأي شر آنذاك إذا عشت طويلاً بالصلاح؟

📖 أتريد أن تحيا حياةً شريرة وطويلة، وتأبي أن تحيا حياة صالحة في العالم بأن يومَ غد لا أحد يعدك به؟ أصلح ذاتك، وأصغ إلى الكتاب المقدس: "لا تؤخر توبتك إلى الرب" بن سيراخ٥:٨.

📖 أن هذه الكلمات ليست منى، بل أنها موجهه إلى، إن شئتهُا أنا فهي لي، وإن شئتَها أنت فهي لك.

📖 وقولي هذا هو من الكتاب المقدس الذي أنا احتقرته شكاك.

📖 ولكن اسمع قول الرب: "أسرع وصالح أخاك" متى٥:٢٥. فليسمع الجميع أني أردد على مسامعكم قول الكتاب الإلهي.

📖 أيها المتواني الشرير، يا من يتمنى لنفسه إحصاءً شريراً، اسمعْ كلام الرب القائل، واسمع تحذير الكتاب المقدس، من هذا المكان أراقبك: "لا تؤخر توبتك إلى الرب، ولا تتباطأ من يوم إلى يوم" بن سيراخ٨"٥.

📖 أتظن أنه لا يري أولئك القائلين "اليوم شرٌّ وغداً برٌّ"، وفي الغد ستقول أنت الكلام عينه. لا تؤخر التوبة إلى الرب، ولا تتباطأ من يوم إلى يوم، لآن غضبة يأتي بسرعة، ويهلكك في زمن انتقامه.

📖 ألأنا كتبت هذا الكلام؟ وهل يمكنني أن أمحوه؟ إن محوته خفت من أن أعود إلى العدم.

🕮 يسعني أن اصمت، ولا أنطق بهذا الكلام، إنما اخشي سكوتي لأني مضطراً إلى التبشير به، خائفٌ أنا، خَفتْ أنت معي، كي تفرح معي.

🕮 لا تؤخر التوبة إلى الرب:

🕮 تأمّلْ بما أقول: رب، أصغ إلى كلامي، رب، أنت عالم بما أصابني من خوف لدي مطالعة نبيك. من فوق هذا المنبر أقول: لا تؤخرّ التوبةَ إلى الرب، ولا تتباطأ من يوم إلى يوم، لأن غضبه يأتي عاجلاً، وفي زمن انتقامه يهلكك.

🕮 ولا تقل لي:

🕮 أريد أن اهلك أنا لئلا تهلك أنت، رفضي أفضل من إرادتك.

🕮 واسعة هي رحمة الله تحثك على أن تحيا بالبر.

🕮 أنه يخفي عنك يوم موتك، لئلا يعدك بشيء للمستقبل.

🕮 أعمل اليوم، وأعيشُ اليوم، وغداً لن أعمل.

🕮 وماذا يحدث إن لم يكن غد؟

🕮 واسعة هي رحمة الله لأنه جعل كل يوم من حياتك مجهولاً، لئلا تعرف تاريخ أجلك، يا من تنتظر الموت كل يوم، لابد وأن تتوب إليه: وتلك هي رحمة الله الواسعة.

🕮 لو أنه أعلن لكل إنسان عن يومه الأخير، لكانت الخطيئة تكاثرت بسبب راحة البال، ولذلك فبحكمة منه بقي يوم الموت مجهولاً.

🕮 فكّر في يومك الأخير تفكيراً خلاصياً، برحمة منه أنت تجهل يوم موتك، يوم أجلك، لذلك يجب على المرء أن يكون يقظاً طوال أيام حياته.

عواطف وصلوات

🕮 ثابت هو العقاب، أما ساعته، فلا.

🕮 أنا متأكّد من هذا العقاب دون سواه، من بين أمور الناس قاطبة.

- كل ما يحدث لي من خير، أو شر، مجهول هو ما عدا الموت، وحده الموت أكيد. إن كانت ساعةُ الموت غير أكيده، فلما أرجئ من يوم إلى يوم؟ وكيف أخطأ بأرجائي؟
- وأتمتع، وهذه التي جمعتها لمن تكون؟ ها أني أفرح بأموالي جاهلاً موعد الحميَّ، أني أجمع، وأحصّل، وأكدس، وأحفظ، وأتمتع، وهذه التي جمعتها لمن تكون؟

- على أن اسهر وأصلي، لأن حياتنا قصيرة، ومجهول أجلها.
- وأني لجاهل يا رب ساعة مجيئك.
- على أن اسهر بقلبي، وإيماني، ومحبتي، وأعمالي، ومتى رقد جسدي يجيء يوم أقوم فيه، يا عوني فأصغ إلى يا مخلصي.
- بعت نفسي إلى سلطان الآثم، وقبضتُ الثمن لذة عابرةً من الشجرة المحرمة. إني أصرخ قائلاً: وجّه سبلي وخطاياي بحسب كلمتك.
- رزحتُ تحت وطأة الآثم بينما كلمتك، هي للحقيقة قاعدتُها.
- لقد شوهتُ نفسي وبعْتُها، حراً، فافتدني بدمك.
- يا لخجل الكبرياء فيَّ ويا لعظمة النعمة فيك.
- إنكَ تقاوم المتكبرين، وتمنح المتواضعين نعمتك.

كتاب خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ـ للقديس أوغسطينوس ـ صفحة ٣٩ ـ ٤٣



{٧}

مار إفرام السرياني

{١} للرب الأرض ـ في قيامة الموتى	{٢} في ذكر الموت

المقالة الثالثة والثلاثون

للرب الأرض وما فيها وفي قيامة الموتى

على حسب ظني إن معنى هذا الفصل المقول، هو إن كافة البرايا ملك للباري، ونحن ضيوف وسكان.

وإن كان أحد تحت يديه ثروة ونعمة فليس هو صاحب الأمتعة خصوصاً، بل قهرمان {وكيل} لأنه هو أخذ تلك الأمتعة من إنسان آخر، وبعده أيضاً ينقلها الأَجل إلى آخر على حسب أمر الباري، فيجب إن نقر للمعطي بالنعمة والإحسان.

فهذه الآراء لما عرفها القهارمة الحكماء، لم يهملوا اهتمامهم بعمل العدل، مريدين إن ينالوا ذلك التطويب لأن الرب يقول: "مغبوط ذلك الإنسان الذي يجئ سيده فيجده عاملاً، هكذا أقول لكم حقاً أنه سيقيمه على كافة قناياه. لأنه دبر أموره بإنصاف، فلذلك لا يتزعزع إلى الأبد.

لأنه يقول داود: "مغبوط الإنسان الذي يترأف ويقرض، يدبر أموره بالإنصاف، فإنه لا يتزعزع إلى الأبد، ذكر الصديق يكون دائماً، لن يخشى من سماع السوء، قد أعد قلبه إن يتوكل على الرب، فقد ثبت قلبه فلا يتزعزع إلى إن يبصر أعدائه، بدد ماله وأعطي الفقراء فعدله يبقي إلى الدهر، يعلو شأنه في الشرف، يبصر الخاطئ فيغتاظ، يصر بأسنانه ويذوب، وشهوة الخاطئ تضمحل.

فقد كتب إن الصديق يكون مؤيداً ولا يخشى من سماع السوء، فما هو سماع السوء؟ أظن أنه "فليخلع المنافق لئلا يعاين مجد الرب".

و "شدوا يديه ورجليه وألقوا العبد البطال في الظلمة القصوى".

و "تنحوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة للمحال ورسله".

وعوض هذه يسمع الصديق: "حسناً أيها العبد الصالح الأمين إذ كنت على الحظوظ القليلة أميناً، فسأقيمك على الجزيلة، أدخل إلى سرور ربك".



📖 فلذلك منع الرب الرازق كافة الخيرات، إن نكون مشغوفين بالأشياء العالمية متألمين لها، فقال هذا الفصل "لا يمكن أحد إن يعبد ربين، لا يمكنكم إن تعبدوا اللـه والمال، فلا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث السوس والآرضة يفسدانِها، وحيث اللصوص ينقبون ويسرقون، لكن اكنزوا لكم كنزاً في السماء حيث لا يفسد السوس والآرضة، وحيث ليس لصوص ينقبون ولا يسرقون، لأنه حيث ما يكون كنزكم فهناك قلبكم".

📖 ويقول أيضاَ: "بيعوا ما لكم وأعطوا صدقة، واصنعوا لكم أكياساً لا تبلى، وكنزاً في السماوات لا يسرق". وأيضاً "أنا أقول لكم: اصطنعوا لكم أصدقاء من مال الظلم، لكي ما إذا احتجتم يقبلونكم في مساكنهم الأبدية".

📖 لأن الواثقين بقوتَهم، المتفاخرين بوفور ثروتَهم، يموتون كالناس، ويسقطون كواحد من الرؤساء، لأنْهم لم يحفظوا المودة للخالق.

📖 أما الذين يتوقعون الرب فيرثون الأرض، لأن فيهم الكلمة نور وملح وقوة، على حسب قول الرب: أنتم نور العالم، وملح الأرض.

📖 حتى الآن العالم حاوٍ في ذاته هذا الملح والنجوم، لأنه موجود وفي كل جيل وجيل الذين يخدمون الرب، ولولا ذلك لما كان ثبت، لأنه زعم إن فسد الملح بماذا يطيب؟ ليس فيه قوة لشيء إلا إن يلقى خارجاً ويدوسه الناس.

📖 وإذ لم يوجد في السدومين من هذا الحظ سوى واحد، فطالما كان الصديق حاضراً معهم لم ترسل اليد القادرة عليهم السخط، لو لم تأخذه من وسطهم، فلذلك مغبوطة البلدة، وسعيدة المدينة، مغبوطة المدينة التي فيها صديقين بكثرة، ومغبوطون الصديقون أنفسهم الذين يخلص بِهما العالم، لأن التطوبيات، والحظوظ معدة للصديقين.

📖 فلذلك فلنطرح أعمالنا، ولنغاير سير الصديقين، لنرث معهم المدائح والسعادة، صائرين نوراً وقوة، ومدينة للملك المعظم، ليكون لنا فخراً، لأن بيده كافة أقطار الأرض، هو يعطي كما يقول المترنم: "الثلج كالصوف، ويلقي جليده كالكسر، من ذا يقف أمام وجه برده، يرسل أمره ويذيبها، تَهب رياحه فتجري المياه، تأخذ منه الأرض نسيم العناية فتكتسي جمال بَهائها بأمره، ومثل إناء مذهب مرصع بالجوهر يطرب الناظرين إليه".

📖 فالطيور تتطاير مغردة صوتاً حسن النغمة طربة بإنارة الهواء.

📖 وذوات الأربع معاً تركض في المروج لأنه قد أينعت بقاع البرية.

📖 والرعاة يبتهجون مسرورين بمواهب الرب. الأنْهار تسير بسكون من تضاغط المياه، وعدم ترتيب نَهضاتِها فتفرح البرايا المائية.

📖 والحيتان تركض مسرورة بشروق الشمس. والشجر عوض عدمها الورق، تكتسي بأزهارها، وتتجلجل بالورق، وتحمل الثمر. الجبال والآكام والأودية وكافة الأرض، توشى بالزهر، تشيد بمجد الرب، لأنه وشاها بزينتها كالعروس. ونحن بنو الناس إذا مر الشتاء، نفرح متمتعين بحسن اعتدال الأهوية، وجمال خصب الأثمار.

📖 فلنصنع منذ الآن أثمار العدل الحسن قبولها عند الرب، ليكون لنا دالة إن نقول للباري "يسر الرب بأعماله" لأنه بالحقيقة يسر الرب بالعاملين العدل، فلا يتشامخن أحد بمعقولة باطلاً، أو بقوته، أو بثروته، لأن هذه تجف كالحشيش، لكن المفتخر فليفتخر بالرب.

📖 ماذا يكون في الناس معظماً، أو مكرماً، أكثر من التاج الملوكي، وهذا لن يدوم لرأس الإنسان، لأنه في جيل بعد جيل ينتقل من رأس إلى رأس.

📖 ماذا للملك لم يعطيه الله، أليس الرب نفسه صنع السماء والأرض وسائر البرايا التي فيها، أما خلق الماء منذ أسس الأرض، أية

الأشياء التي يملكها الملك لم يعطيه الله إياها، فإنه يسود على الأجسام، والأسلحة، والأموال.

📖 لكن قل لي، من خلق هذه كلها، ومن هو الذي كثر الأجسام بتناسل الأولاد، ومن يمنح إياهم حوائج المعاش، ومن منحهم الفهم لعمل الأسلحة، أليس هو الرب نفسه المحيي الكل.

📖 من يرزق المفتشين على المعادن ذات الفوائد، أليس هو الرب.

📖 من هو الذي يهز بنظرة الأرض كورقة، أو كعود يسبح على الماء، أليس هو الرب. وهذا أمر خفيف في عينيه، لكن حدوثه يقلق الساكنين فيها، وتشتملهم الأوجاع.

📖 وكافة الموجودات من ذهب، وفضة، وملابس، وعبيد، وإماء، ومراعي غنم، وقطعان بقر، وسرب خيل، وجمال، إن لم تشرق الشمس عليها تحسب كلا شيء. فالحكيم سفه، والقوي ضعف، والغني تمسكن، وهم يقرون بعدل واجب، إن ليس لأحدهم شيئاً، وأن كافة البرايا للباري.

📖 فلنعرف نحن ضعفنا، وكما إنا إذا رأينا عظماً أو جمجمة من الذين سلف رقادهم نتنهد، كذلك عظامنا يبصرها الذين بعدنا فيكتئبون، لأن من هذا الطين بعينه خلقنا كلنا.

📖 فإذ قد تقدمنا فعرفنا هذه يا أخوتي، فلنواضع ذاتنا تحت يد الرب الغزيرة، ليعلنا في أوان التعهد. ولنبغض السبح الباطل، والتيه، والجهل، ولنهرب من الكبرياء، فإن الله يناصبنا.

📖 ولنحب التواضع فنصير ودعاء، فيعلمنا الرب طرقه.

📖 كم من نشأوا منذ إنشاء العالم وكلهم ناموا على الأرض، وليس فرق بين عظام الملك، وعظام الأسير.

📖 ولا فضل للمقتني مركبة لجامها مذهب، على الساعي برجليه.

📖 ولا للمغتذي بأطعمة فاخرة، على العائش بالفقر.

📖 ولا الجميل الصورة على قبحها. ولا للقتيل على القاتل.
📖 بل ينام كلهم على التراب إلى إن يبوق البوق المقدس، فينهض الراقدون منذ الدهر لينال كل واحد منهم جزاء الأعمال التي عملها بجسده، إن صالحة وإن طالحة.

📖 عجب عظيم، نشاهد بغتة القبور تنفتح بصوت البوق، والموتى الراقدون ينهضون منذ آدم وإلي تلك الساعة في أسرع من طرفة عين. هكذا إذا قام الموتى غير بالين يقومون كلهم معاً، الملائكة يتحادرون يجمعون الصديقين من الأربعة رياح، من أفاق السماء وإلى أفاقها.
📖 ذلك الصوت يحيي الكل، ولا يبقى من الناس أحد، فبعضهم يقوم إلى قيامة الحياة، ومنهم إلى نشور الدينونة. فإذا سمعنا عن نِهوض الموتى، فلا نكذب ذلك، لأن كافة الأشياء ممكنة لله، وليس شيء غير ممكن له.

📖 وإن كان الذي طرحوا في الأتون حجبهم اللهيب، وحفظهم بغير مضرة، ولم ينالهم بلى، ولما خرجوا من أتون النار وجدوا إن شعرة واحدة لم تحترق منهم، ورائحة احتراق اللهيب المتسامي لم توجد بِهم، هكذا إذا قام الموتى غير بالين، ليس العجب من إن شعرة منهم لا تَهلك، بل إن رائحة البلى لا توجد فيهم بعد مدة زمان رقادهم، لأن كافة الأشياء ممكنة لله، ولن يصعب علية شيء.
📖 أسمع حزقيال النبي قائلاً: "وصارت على يد الرب وأخرجتني بروح الرب، وحطتني في وسط البقعة، وكانت موعوبة عظام الناس وأدارتني حولها، وكانت العظام على وجه البقعة كثيرة جداً، وإذا هي يابسة جداً، وقال: يا ابن الإنسان تنبأ على هذه العظام، وقل لها أيتها العظام اليابسة أسمعي قول الرب هكذا قال السيد الرب لهذه العظام

هاأنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون، وأمنحكم عصباً وأكسكم لحماً وأمد عليكم جلوداً وأعطيكم روحي فتعيشون وتعلمون إني أنا الرب.

📖 وحين كنت أتنبأ صارت ريح وحدثت زلزلة وبادرت العظام كل عظم منها إلى مفصلة، ورأيت وإذا قد نشأ عليها العصب واللحم وصعد عليها جلد ولم يكن فيها روح، وقال لي: تنبأ يا ابن الإنسان تنبأ على الروح. فقلت بالروح: الرب ربنا يقول هذه الأقوال لتحضر الروح من الرياح الأربع، ولتنفخ في هؤلاء الموتى وليعيشوا.

📖 فلما تنبأت كما أمرني، جاء إليهم الروح وعاشوا وقاموا على أرجلهم جماعة كثيرة جداً وخاطبني الرب قائلاً: يا ابن الإنسان هذه العظام هي كافة بيت إسرائيل هؤلاء يقولون عظامنا قد صارت يابسة وقد ضاع رجاؤنا وهلكنا، من أجل هذا تنبأ وقل لهم السيد الرب يقول هذه الأقوال: هاأنذا أفتح قبوركم يا شعبي وأصعدكم من قبوركم، وأدخلكم إلى أرض إسرائيل، وتعلمون إني هو الرب، إذا فتحت مقابركم وإذا أصعدتكم من مقابركم وإذا منحت جماعتكم روحي وتعيشون، أسكنكم في أرضكم وتعرفون إني أنا هو الرب تكلمت وأصنع قال السيد الرب".

📖 ولذلك لما جاء ربنا وإلهنا يسوع المسيح قال بفمه الإلهي: "حقاً أقول لكم: أنه ستجيئ ساعة وهي الآن حين يسمع فيها الموتى صوت ابن البشر والذين يسمعون يعيشون. وأيضاً لا تتعجبوا من هذا".

📖 وفي فصل آخر مكتوب: "أيتها السماء أنصتي فأتكلم وتسمع الأرض كلمات فمي، فلينحدر كالمطر نطقي ولتنزل كالنداء كلماتي"، هذا هو النداء الذي يجدد الموتى ويحييهم

📖 ونبي آخر يهتف قائلاً: "الموتى سينهضون، والذين في القبور سيقومون، والذين في الأرض يسرون، لأن النداء الذي منك شفاء لهم". فكافة الأشياء ممكنة لله، وليس شيء صعب عليه.

📖 إن كانت السماوات، أو الأرض، أو لجة البحار، أو الأعماق، أو خليقة ما أخرى فكلها في يده، كلها كلا شيء، وليقنعك بذلك النبي القائل: "من قدر الماء بيده، والسماء بشبره، والأرض بكفه، من نصب الجبال بوزن، والتلال بمعيار".

📖 ويقول أيضاَ: "الأمم كلها قد حبست عنده كنقطة من قادوس، وكرجحان ميزان تحسب، وهوذا الجزائر يرفعها كدقة تحسب بصفة، ولبنان ليس كافياً للحريق، وحيوانه ليس كافياً لمحرقة، وكافة الأمم كلا شيء قدامه. من العدم والباطل تحسب عنده".

📖 فأما حبقوق النبي فيقول: "يارب سمعت سماعك فخشيت، يارب تأملت أعمالك فذهلت".

📖 والرسول يقول: "في لحظة في طرفة عين عند الصور الأخير، لأنه يبوق فيقوم الموتى غير بالين، ونحن نتبدل {نتغير}، لأنه ينبغي لهذا البالي إن يلبس عدم البلى، وهذا المائت إن يتسربل عدم الموت، فإذا لبس هذا البالي عدم البلى وتسربل المائت عدم الموت فحينئذ يكمل القول المكتوب أبتلع الموت بغلبة، أيها الموت أين غلبتك، أيها الجحيم أين شوكتك".

📖 فمن أجل هذا لا يبكين المسكين، ولا يستعظم الغني، ولا يحزن الضعيف، ولا يتشامخ القوي، ولا يغتم العبد، ولا يفتخر المولى، فإن الجميع من الأرض، وفي التراب يسكنون إلى إن يجيئ الرب الذي يحيي أجسامنا المائتة.

📖 فليفتخر الصديقون ويسرون بالرب، لأنه مغبوطون كافة الذين يوجدون حينئذ أهلاً لذلك الصوت المبارك: "تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم". فاصبروا الآن يا صانعي العدل محتملين الأتعاب من أجل حق الله.

📖 فإن تعب هذه الحياة الوقتية يمنحكم دالة جزيلة في المستأنف.
📖 وضيقة هذا العالم الحاضر تصير لكم نياحة وتعزية.
📖 والبكاء الآن يسبب جلالاً وفخراً.
📖 لأنه قد كتب "مغبوطون كافة الصابرين، لأن الشعب الطاهر يسكن في صهيون". وحينئذ يصير المكتوب: "ها الذين يخدمونني يسرون، وأنتم تحزنون، ها الذين يخدمونني يبتهجون بالسرور وأنتم تصيحون من أجل وجع قلوبكم، وتولولون من تلقاء انسحاق الروح، لأن اسمكم يحصل لشعبي سيفاً، وأنتم يقتلكم الرب، والذين يخدمونه يدعوهم باسم جديد، الاسم الذي قد تبارك على الأرض".
📖 ويقول أيضاَ: "أنْهم ينسون حزنَهم الأول ولا يخطر بقلبهم، لأنه ستكون سماء جديدة وأرض جديدة، فلا تذكر الأولي، ولا تخطر على بال، أفرحوا وابتهجوا إلى الرب".

مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة التاسعة والعشرون ـ صفحة ١٨٠ ـ ١٨٥

المقالة الخامسة والثلاثون

في ذكر الموت

📖 سبيلنا إن نذعن للقائل فليعزِ بعضكم بعضاً وانفعوهم، وأنا لست كافياً لهذه الوصية حتى أعمل هذا بحرصي، لكنني أعرف القائل مبارك الإله أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفات، وإله كل تعزية، الذي عزانا في كافة حزننا، ليمكننا إن نعزي الذين هم في كل حزن، بالعزاء الذي نتعزى به نحن من الله.

📖 فلذلك احتسبنا نحن ضرورياً ان نكتب إليكم الفوائد التي تعلمناها من الكتب الإلهية، ووعظنا بِها من أناس إلهيين، وما اقتبسناه من التجارب، لئلا نشابه نحن الصناع الحساد الذين يكتمون عن المتتلمذين لهم أكثر أسرار الصنعة حسداً وغيرة. أما نحن فنصدق

القائل إن اللـه هو الفاعل فينا، إن شئنا نفعل أزيد من المسرة، لأن الفضيلة لا تنقص إذا قومها قوم كثيرون، ولا تضيق.

📖 كما يقول واحد من القديسين: "إن أتقن الفضيلة كافة الناس وشاركوها، لما أفنوا ثروتَها، لأنْها ليست كالقنية الأرضية التي إذا وزعت أقساماً، فبمقدار ما يزاد النصيب الواحد يقلل النصيب الآخر، أو يكثر الواحد ينقص مساهمه، فمن ذلك تنشأ الخصومة بين الناس، فأما المقتني الفضيلة فمهما أكثر من قنيتها لا يحسد.

📖 والمختطف الجزء الأكبر منها لا يسبب خسارة، ما لمن يؤثر إن يساهمه فيها، فلنبدأ منذ الآن بالأمر المقصود بمؤازرة نعمة ربنا وإلهنا يسوع المسيح. فنقول إن التواني يصير للذين لا يتيقظون سبب شرور كثيرة، يحل قليلاً قليلاً السيرة الروحانية، ويسرق حرارة الأمانة، ويحض على خدمة اللذات. لأنه لا يسمح إن يحصل في العقل المكافأة، التي تصير بعد الخروج من هذا العمر.

📖 فلو سمع المتواني الكتب التي تخبر عن العذابات، التي تكون بعد الوفاة وصدقها، لجعل نفسه خارج هذا الزلل، وما كان يحتملها بلا أشعار. وبمقدار ما صار له من التواني يتيقظ لكل صلاح، لأن المتيقظ حاضر عنده كل حين ذكر اللـه، وحيث ما يتوطد ذكر اللـه، يكف سائر فعل الخبيث. فالشوق إلى الخيرات العتيدة الفاقد الشبع، يجعل السعي دائماً وجيزاً.

📖 إن السعي الجسداني يحتاج إلى صحة الأعضاء، وحدة الإحضار، فأما السعي الروحاني فيحتاج إن تكون النفس طاهرة.

📖 ولو كان الجسم سقيماً، منحلاً بزيادة المرض، لما أضر النفس المتيقظة، كما لم يضر أيوب الشهم تقاطر أمواج الأوجاع، وجلوسه السماوي على المزبلة، ليس شيء أقوي من الديانة الحسنة.

📖 وليس شيء مخسراً، وكثير الشقاء، أكثر من الحياة المؤلمة.

📖 فبمقدار ما تكون الأمور الوقتية مستلذة، تنمي المصيبة.
📖 وكما إن محبي الفضة إذا خسروا درهماً أو درهمين، يتوجعون لذلك مغلوبين من محبة المال. والمقتني كرماً يسيراً، وأرضاً يسيرة، إذا عدم شيئاً من غلتهما يحزن، غير محتمل المصاب.

📖 هكذا يصيب بالأغنياء الحزن المذكور بمفارقة الغنى، ولا سيما إذا رأى أحدهم ذاته مائلاً إلى الشيخوخة، فينسكب حزناً مضغوطاً كأنه من ضغط الحديد والسجن الضيق، إذ لا يجد حيلة واحدة يدفع بِها ورود الشيخوخة.
📖 وإن ظن أنه يدفع ذكر الموت بالزمور والطبول، وبباقي الآلة الموسيقية، فبما يحتال من هذه يشعر أنه بلا محال، سيعدم مثل ذلك السرور، وتسكن التصفيقات والألعاب وصوت الأصوار {الأبواق} المستلذ، والحزن يعصر قلبه، ويأكل أحشاءه باطناً، ولا يستقر ذلك.
📖 إن طرب الغني الموسيقى بالخرافات، وأخبار الحروب، يتنعم دائماً بالموت والقتل.

📖 فلو كان إذاً يذكر الموت لكانت خشية العقاب المنتظر تنقل بلا مراء حاله إلى عمل الصلاح، لأنه قيل مَنْ مِنْ الكفار والمنافقين يذكر الموت فلا يستغرب هذا، لأن كل إنسان مقترن به ذكر الموت.
📖 وأما الكفار فيستعملون هذا الذكر استعمالاً رديئاً، منتحبين على مقارفة الملاذ فقط، وأما المؤمنون فيستعملون ذكر الموت دواء، وشربهُ يزيل الآلام النجسة، وكلنا قد تيقنا إننا منصوبون للموت المؤمنون والكافرون.
📖 فأما المحاكمة التي بعد الموت، فلم نصدقها كلنا، أما الصديقون فالدينونة نصب أعينهم دائماً، كما يأمر القائل "قد حكم على الناس إن يموتوا مرة واحدة وبعد الوفاة الدينونة".

📖 فلذلك يرسلون ليلاً ونَهاراً وسائل وطلبات إلى اللــه، إن ينجوا من جهنم النار، وباقي العذابات، وأن يؤهلوا للتصرف مع الملائكة.

📖 وأما المنافقون الخطاة فذكر الموت عندهم هو شـيء ساذج مجرد، لأنَهم لا يجتهدون خائفين من الأمور الصائرة بعد الموت، بل ينتحبون على فقدهم الملاذ ومفارقتها، فإن صار لأحدهم الذكر الذي يصيب الصديقين، فحينئذ ينصرف الحزن الأول ويضمحل، ولا يعود موافقاً رأي القائلين "نأكل ونشرب فإننا غداً نموت".

📖 ولا يعتقد إن يكثر الأشياء التي لا نفع، ويجمع بيديه ما لا ثمر له سوى العذاب، بل يشتمله الاهتمام كما يليق بالإنسان الحكيم، مهتماً باشتهاء الأشياء النفيسة، هارباً من اهتمام المنافقين.

📖 لأن الذين يحبون الثروة الأرضية، فكافة عمرهم مشتغلون بالرجاء الباطل، وبقدر التسامي في الغنى تنمى مخافة الرب كثيراً، لأن مخافة الوفاة القاطنة باطناً، تجلب الحزن على مقدار إحساس كل أحد، لا لكي تتقوم لهم العفة، والحلم، والعدل، والشجاعة، لا من أجل جهنم، وعدل حكم اللــه، لكنهم يتحيرون في أنفسهم نائحين على ثروتَهم {التي سيفقدونها حينما يأتيهم الموت}.

📖 قائلين ترى من يترأس بعد منصرفاً على جسامة هذه النعمة.

📖 ومن كان صديقاً للملوك، يتمنى إن يعلم من يرأس المملكة بعده.

📖 ومن يتملك جسامة هذا الذهب والفضة.

📖 ومن يستخدم هذه الآلة الذهبية.

📖 ومن يرث الحلل المذهبة القرمزية، والسنادس الملونة الجزيلة قيمتها. ومن يركب الخيل المنتخبة المذهبة لجمها.

📖 لمن يتبع ويتقدم كثرة الغلمان المجتمعة من أمم مختلفة.

📖 من يسكن في المجالس والقباب، التي وشيتها أنا باهتمام بالرخام، التي زخرفت أرضها بالفصوص المذهبة، وسقفتها بالذهب.

📖 لمن يخدم أصحاب الموائد، ترى من يخدم الخدم.

📖 من يضطجع على الأسرة المفضضة، ويستعمل الأطعمة التي أطيابَها من الهند. من يستعمل الغلات والأشربة المروقة.
📖 من يأخذ باكورة طرائف بساتيني. من يقلب المناطق الذهبية.
📖 من يصير خلفاً يتولى خزائن السلاح والمركبات والخيول المعدة للأسفار والحروب. من يسمي أهل منزلي سيداً.
📖 من يتطيب بأفخر الأطياب. لمن تكون كلاب الصيد.
📖 وإلى من تقدم باكورة غلاتي. ومن يجبي الخراج.

📖 وإذا أشتغل فكره في جهات كثيرة ولا يجد مناهجاً للأمر، يلجأ إليه {ﷲ} بتنهد كثيراً، ثم يعود أيضاً إلى الاهتمام بمنزلة، غير مرير إن يكنز لنفسه في السماوات شيئاً.
📖 وإذا نال نَهاية غاياته كلها من خصب الأثمار، وتوفر الغلات، وثمر البهائم، وبَهاء المرتبة والشهامة في الحروب، فحينئذ يخطر له ذكر الموت فيزعج قلبه.
📖 فإن ضعفت أعضاؤه من تناهي الشيخوخة، ولم يستطع أيضاً إن يخدم الملاذ الفاحشة والمحظورة، فحينئذ يندب حياته.
📖 وإن كان أحد جافياً فظاً متصلفاً، ويجتهد إن يقصي بعد الموت الرفاهية، ورغد العيشة، فليس ذكر الموت خارجاً منه.
📖 لأنه يضاهي المريض الذي يتظاهر بالصحة، ويأكل الأغذية التي تضاد المرض، ويظن أنه يزيل بِها الوجع، لكنه لا يطرد بذلك المرض، لأن المرض شائع في أعضائه، ثم يذعن لا مختاراً بل بغضب، لكونه مضبوط بالألم، ومعايناً هيئته مخطوفة من الموت بغتة.

📖 فحينئذ ييقن، وإن لم يشاء إن قضية الموت بلا محالة ستوافى إليه.
📖 وإن كان شاباً يشرف عليه أيضاً ذكر الموت فيخلط المحزنات بالملاذ لأنه إذا أبصر وجه قرينته المحبوب للوقت يدخله خوف

الفراق، أو سمع صوتَها اللذيذ يخطر بذهنه أنه لم يسمعه قط، وإذا فرح بمعاينة الجمال فحينئذ يفرق مفكراً مميزاً إن هذا الجمال يزول وهذا الحسن الظاهر الآن يصير عظاماً نخرة قبيحة ولا يكون له أثر ولا ذكر ولن يوجد لهذا الجمال بقية.

📖 فإن أفتكر بِهذه ونظيرها أتراه يعيش بسرور هل نصدق الحاضرات عنده كأنَها صالحة وباقية دائماً أو تبان كأضغاث أحلام خادعة لا يمكن ولا يصدق أنَها تخرج إلى العالم بل يتأمل الأشياء الظاهرة كأنَها أجنبية.

📖 إن المتوانين والمتهاونين مظلمون تنقضي أيامهم في خديعة الخطية ظانين إن ساعة الموت بعيدة منهم غير مهتمين بأنفسهم بل يحسبون لأنفسهم سنيناً كثيرة وأزمنة طويلة فهم يماثلون الذين يمشون في ظلمة الليل ويظنون إن الحفرة والهوة بعيدتان منهم إلى إن يتكردسوا فيها فتزول الحيرة والشك فالذي يتأمل بعين نفسه الصافية طغيان هذا العالم فيصير أعلى سموا من الأشياء التي ههنا متفطناً بلا مراءٍ إن أكل أو شرب أو رقد أو عمل أو تنزه في إن الطبيعة تنحدر إلى الشيخوخة وينتهي العمر الوقتي. فلذلك يعرض عن الأشياء كلها كأنَها كناسة، ويحرص إن يبعد ذاته من كل رثاء العالم وحزنه، لئلا يكونان له مساهمة واحدة في الأشياء البشرية.

📖 فالذي ينظر في السيرة الفاضلة، ويكنز الفضيلة لنفسه التي لا توصف، هل يخرج من هذه الحياة الحاضرة خلواً من التخشع والدموع، أم يميل إلى الأمور الأرضية.

📖 أتراه يتعجب من الغنى الوقتي، أو من الاقتدار البشري، أو من شيء آخر يحرص علية بغباوة. فإن كان مائلاً للأمور العالمية، فهو خارج عن هذا المجال، وكلامنا ليس له، أما من يعقل المعقولات

العلوية، والمتسامي سعيه إلى اللـه، فهو أعلي سمواً، ساعياً بكافة قوته وراء الفضيلة التي ليس في هذا العالم أكرم منها قدراً.

📖 لأنَها تجعل الناس أخلاء اللـه.
📖 وتحسب الذهب في عينها كالرمل، والفضة قدامها كالطين.
📖 لا يضنيها الشقاء، ولا يكمد نورها المرض.
📖 والموت المرهوب عند كثيرين يستهوونه ذويها، لأنَهم بدالة يهتفون مع القائل: "إن الشهوة تحضني إن أنكفي وأكون مع المسيح".
📖 الذي له المجد والاقتدار إلى الأبد. آمين

كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة التاسعة والعشرون ـ صفحة ١٩١ ـ ١٩٤

{٨}

كتاب الحرب اللامنظورة

الفصل التاسع

في الاستعداد للمعركة ضد العدو في ساعة الموت

📖 ورغم أن حياتنا على الأرض كلها حروب، ورغم أنه يتوجب علينا الجهاد ضد هذه الحروب، وحتى النهاية. يبقى أن المعركة الأساسية، والأكثر خطورة، هي التي تتربص بنا ساعة الموت.
📖 فمن سقط في تلك اللحظة، قد لا ينهض أبداً.
📖 لا تتذهل من ذلك، فالعدو تجرأ على ربنا نفسه، الذي لم يكن فيه خطيئة، فجربه في نهاية أيامه بالجسد على الأرض "رئيس هذا العالم آتٍ وليس له فيَّ شيء" يو١٤: ٣٠.

📖 ترى ما الذي يمنعه من الهجوم علينا في نهاية عمرنا؟
📖 في هذا يقول القديس باسيليوس الكبير لدى تفسيره مزمور {٧}: لئلا يفترس كأسد نفسي، ويهشمها وليس من منقذ مز٧: ٢.

📖 إن أكثر المقاتلين بأساً وقوة، المجاهدين ضد الشيطان طوال حياتهم، وقد نجوا من حيله وألاعيبه، وصدوا هجماته، تعرضوا في نهاية عمرهم لتجربة من رئيس هذا العالم، وذلك ليقوم بآخر محاولة ضدهم.
📖 فقد يكون شيء من الخطيئة مازال عالقاً فيهم، ويستطيع به أن يقهرهم في اللحظة الحاسمة. فعندما لا يجد مبتغاة فيهم يفشل، فيعبرون الحرب بسلام، ليصلوا إلى الراحة مع الرب.
📖 ومادام الأمر هكذا، يستحيل إبعاد الحرب عن مخيلتنا، إنما ينبغي الاستعداد لها قبل الأوان، وحتى ساعة الموت، فنعبر بنجاح.
📖 ينبغي أن تكون الحياة كلها استعداداً لهذه اللحظة.
📖 عليك أن تُثبت استعداداً لائقاً في تلك الساعة.
📖 وإن كنت في حياتك الأرضية قد جاهدت بشجاعة ضد أعداء خلاصك، فمن الأكيد أنك اكتسبت تقنية تتغلب بها عليهم، فتنال الإكليل بيسر، وبسهولة في ساعة الموت.

📖 أضف إلى ذلك، أنه يجب أن تفكر بالموت على الدوام، بيقظة وصحو، وتسترجع في ذهنك كل ما سيصيبك في تلك الساعة.
📖 وإن عملت هكذا، فالساعة لا تفاجئك، ولا تخيفك، أو أقله لن ترعبك كثيراً. نفسك لن تضعف بالجزع، إنما ستبدى متانة وثباتً في الجهاد من أجل النصرة على العدو.
📖 أبناء العالم يمجّون تذكر الموت ويأبونه، وذلك لأنهم لا يودون الإقلاع عن التمتع بالمباهج الحسية، التي ليست على وفاق مع ذكر

الموت. الأمر الذي يجعل تعلقهم بأباطيل العالم ينمو ويزيد، على نحو لا يعود معه بالإمكان صده.

📖 لكن عندما تحين ساعة الفراق، والانفصال عن كل أمور العالم الذي أحبوه وارتبطوا به، يسقطون ضحية الرعب والفزع والقلق.

📖 ولكي يأتيك ذكر الموت بثماره، عليك أن تجعل نفسك في مكان من يحتضر ساعة الموت، ويختبر الضيق والألم، والسكرة الأخيرة.

📖 عليك أن تستحضر لنفسك تجارب العدو حية، والتي بها سيهاجمك.

📖 ولا تنسى أيضاً الأفكار والمشاعر التي ستحملها أمام رهبة تلك اللحظة. وأنا سوف أفسر لك كل قتال العدو المحتمل ضدك، وأدلَّك على السبل التي تصده بها، مادمت على قيد الحياة. فيمكنك الإفادة منها عملياً عندما تحين ساعة الموت.

📖 الحرب هذه لا تأتي إلا مرة، ولابد منها.

📖 وعلى المرء إتقان كيفية الوقوف فيها، للحرب بمهارة، كي لا يخطئ ويزل. لأنه إذ ذاك سيفقد ما لا يمكن تعويضه واسترداده.

كتاب الحرب اللامنظورة ـ القديس نيقوديم الاثوسي ـ صفحة ـ ٢٥٨ ـ ٢٥٩

الفصل العاشر

التجارب الأربعة الآتية من العدو في ساعة الموت

التجربة الأولى هي ضد الإيمان

ما هي السبل للنصرة في هذه التجربة؟

📖 التجارب الرئيسية الخطيرة التي يحاربنا الشيطان بها ساعة الموت، هي: زعزعة الإيمان. القنوط. المجد الفارغ. تخيلات مختلفة للمحتضرين.

📖 **التجربة الأولى: {زعزعة الإيمان}**

📖 عندما يبدأ العدو بزرع الشك فيك، أو يكلمك وهو في صورة منظورة ضد الإيمان، فلا تناقشه ولا تلاججه، إنما رسِّخ الإيمان الذي يهاجمه، وبادر إلى القول بهزأ له:

📖 "أبعد عني يا شيطان، فأنت أب الكذابين.

📖 أنا لا أريد أن أصغي إليك.

📖 إيماني من كل القلب، هو إيمان الكنيسة المقدسة نفسها. هذا يكفي".

📖 لا تضف على ذلك شيئاً، بل اثبت حسب قول الكتاب: "إن قامت على روح التسلط فلن أبارح مكاني" "جا١٠: ٤".

📖 تيقظ وانتبه مواظباً على يقظتك، فهذا ليس سوى حيلة شيطانية، فالشيطان يريد أن يضللك في ساعة الموت.

📖 وإن عجزت عن الوقوف، والصمود بيقظة، فحاول ذلك في إرادتك ومشاعرك. لا تسمح للأعداء بالإيحاء إليك، فقاتل النفوس يعمد إلى الكتاب المقدس يتستر به للإيقاع بك، وهو يعمل ذلك، كي يؤدي بك إلى خسارة نفسك بفعل تفسير مغلوط، وتحريف للحقيقة الكامنة في كلمة الله.

📖 وإن سألتك الأفعى عن فحوى تعليم الكنيسة وإيمانها، فلا تجيب، ولا تكترث إلى هذه الكلمات، بل تجاهلها تماماً، فهي مكر وكذب وغش، فالشيطان همُّه أن يضلل أفكارك.

📖 تأمَّل في عمق الإيمان الذي فيك، وإن شعرت أنك راسخ عليه، وتريد إذلال العدو فقل: الكنيسة تؤمن بما هو حق.

📖 وإن عاود الكرَّة: وما هو الحق؟ قل له: الحق هو ما نؤمن به. إنه الصليب الذي به سحق الرب رأس الشيطان، وبدَّد قوته.

📖 وعند ذلك اجعل عينيك على صليب المصلوب وقل: "يا إلهي يا خالقي ومنقذي، بادر إلى معونتي، ولا تدعني أتداعى من الإيمان بك، فأنا بحبك العظيم قد ولدت في هذا الحق. فهبني أن أتمسَّك به كي تنتهي حياتي إلى مجد اسمك القدوس".

الفصل الحادي عشر

التجربة الثانية: اليأس

📖 أما التجربة الثانية التي يشتاق العدو إلى كسرنا بها، فهي الجزع لدى رؤية هول خطايانا. والجزع هذا لا يمكن تحاشيه، وكثيراً ما يرتبط به شيء من شك بعقيدة الخلاص من الخطيئة، بقوة صليب الرب. فالعدو يثير فينا الجزع أمام خطايانا، وذلك كي يطفئ كل أمل لنا بالخلاص، ويحطمنا بقطع الرجاء، وبالقنوط.

📖 لذلك أعدد نفسك قبل الأوان لمثل هذا الهجوم، وقرر التمسك بالرجاء، من الآن، حافظاً في داخلك الثبات في الإيمان بقوة الفداء، الذي تم لموت الرب على الصليب.

📖 وإن كنت تختبر هجوم قطع الرجاء، فبادر إلى التفكير أن هذا كله من العدو، وليس نتيجة لكثرة ذنوبنا ومعاصينا. إن هذا الموقف يجعلك تتضع وتنسحق، ويغمرك الحزن بأنك قد أحزنت الرب الرحوم. لذا فرغم أن التجربة هذه تأتي بالجزع، إلا أنها لا تقوى على تبديد الرجاء بمراحم الله، فالرجاء يولد ثقة قوية بالخلاص.

📖 لذا بادر إلى إبعاد كل رفض من قلبك، فتذكر الخطايا قد يؤدي بك إلى الضيق واليأس.

📖 وكثيراً ما يكون تذكر الخطايا سبباً لضرب الرجاء. لذا فعندما تتنبه لذلك، لا يعود من الصعب عليك التمسك بالرجاء.

📖 الرجاء يؤهلك إلى التأمل في عمق مراحم الله اللانهائية، فالله وهبنا أن نتخلى عن الخطايا، وهو يريد خلاصنا، لا هلاكنا.

📖 أما القاعدة التي عليها يتقوَّى هذا التفكير، فهي على الدوام، قوة موت ربنا ومخلصنا على الصليب التي لا حدود لها. علينا دائماً أن نطلب العون من هذا الصليب، فالطلب واجب لاسيما ساعة الموت.

📖 وإليك الآن صلاة ترفعها عند ولوج عتبة الموت: ربي، كثيرة هي بواعث جزعي، فأنا لو تلقيت معاملة عادلة، سأكون مذنباً ... إلا أن رجائي القوي بغفرانك، حسب كثرة مراحمك في ابنك يسوع المسيح، هو الذي يدفعني إلى التضرع كي تبقي لي صلاحك اللامتناهي، أنا المخلوق البائس والمسكين.

📖 فرغم ذنوبي، غسلني دم ابنك الوحيد إلهي، كي أمجدك إلى الأبد.

📖 ها أنا أستودع روحي بين يديك.

📖 عاملني برحمتك، فأنت وحدك سيد حياتي.

كتاب الحرب اللامنظورة - القديس نيقوديم الاثوسي - صفحة - ٢٦٢ - ٢٦٣

الفصل الثاني عشر

التجربة الثالثة: المجد الفارغ

📖 أما التجربة الثالثة في ساعة الموت، فهي المجد الفارغ الذي يحاربنا به العدو، كي يعتمد الإنسان على نفسه وأعماله. لهذا لا تكترث لها. لا تكترث إلى نفسك وأعمالك ساعة الموت. لا ترضى عن نفسك وأعمالك حتى ولو كان تقدمك يفوق تقدم القديسين.

📖 لا ترضى إلا بالله، جاعلاً رجاءك برحمة وآلام يسوع المسيح. كن صغير الشأن بعيني نفسك حتى الرمق الأخير.

📖 إن راودتك أفكار أعمالك الحسنة، فكر في أن الله هو الذي أنجزها فيك، فهي ليست منك. بل يجب أن تُنسب له. تمسك بالعناية الإلهية دون أن تعتبرها ثواباً لك عن جهاداتك التي احتملتها، والنصرة التي فزت بها. قف أمام الله بمخافة واقتناع نقي أن جهاداتك باطلة

وعديمة الثمر لولا أجنحة اللـه التي رأفت بك وأعانتك على أعمالـك. لذا اجعل ثقتك ورجاءك برأفته ورحمته.

📖 وإن سلكت بمقتضى نصيحتي، فإنك ستبطل هجمات العدو ساعة الموت، فينفتح لك سبيل تعبر عليه من الوادي الدنيوي، إلى أورشليم السماء، المكان الذي تصبو إليه نفسك.

كتاب الحرب اللامنظورة ـ القديس نيقوديم الاثوسي ـ صفحة ٢٦٤

الفصل الثالث عشر

التجربة الرابعة: تخيلات مختلفة للمحتضرين

📖 عدونا اللجوج، لا يمل من تجربتنا، وهو يحاول أن يضلك ساعة الموت بخيالات وضغوطات، أو قد يتحول إلى ملاك من نور.

📖 فوطّد نفسك على ضعفك، وعلى أنك لست شيئاً أبداً.

📖 قل له بجسارة وبلا جزع: عد أيها الملعون إلى عتمتك، فأنا غير جدير بالرؤى والإعلانات. أنا بحاجة إلى أمر واحد هو حنان الرب يسوع، وصلوات القديسين مع مريم والدة الإله.

📖 وحتى ولو كان هناك ما يجعلك تشعر بوجود رؤى حقيقية من اللـه، فلا تسرع إلى اقتبالها، فخير لك أن تتمسك بعدمك وعدم جدارتك.

📖 لا تظن أنك تسيئ إلى اللـه بعملك هذا فالمشاعر المتواضعة، لا تغضبه. وإن كان هناك ما يدعو إلى هذه الرؤى، فاللـه يعرف كيف يجعلك تنظر إليها. فالمتواضعون أمامه غير مرذولين.

📖 إبليس يستخدم ضدنا مثل هذه الأسلحة ساعة الموت، كما ويستخدم أيضاَ أي هوى آخر، سبق أن عانى المرء منه في حياته، فيحاول أن يخدعه به، كي يجعله يترك الحياة، حاملاً الهوى معه.

📖 لذا ينبغي أن نتسلح بالشجاعة لصد أقوى وأعنف أهوائنا، قبل مجيء موعد المعركة الأخيرة، وذلك كي نغلب ونفوز وننقي سيرتنا.

فربما تأتي المعركة في أي وقت. أما أنت فتمسك بقول الرب: "حاربهم حتى يبيدوا" "١صم١٥: ١٨".

كتاب الحرب اللامنظورة ـ القديس نيقوديم الاثوسي ـ صفحة ـ ٢٦٥



{٩}

سمعان اللاهوتي الجديد

٦٥ـ أي إنسان يغرس خوف الدينونة في قلبه، يظهر في عيني العالم كله سجين مكبل بالحديد.

لأنه خائف دائما من أن يقبض عليه منفذ الحكم بالإعدام، ويجره إلى مكان الإعدام، لذلك لا يفكر في شيء إلا في الآلام، وأنواع العذاب التي سوف يعانيها في النار الأبدية.

هذا الخوف يولد في قلبه حاسة العذاب، ويحفظها مغروسة فيه غرساً لا ينتزع، ويمنعه من الاهتمام بشئون الناس، لأنه يشعر دائما أنه معلق على الصليب، وهو عالم تماما بعذاب وألم الموت على الصليب، وهذا يمنعه من الاهتمام بمظهر الإنسان، أو بالتفكير في كرامة البشر، أو هوانه.

وهو يعتبر نفسه مستحقا لكل ازدراء وهوان، ولا يهتم بسوء المعاملة والإهانات التي يكابدها.

٦٦ـ كل إنسان يمتلئ خوفا من الموت، يحتقر الطعام والشراب، أو التزين، لا يأكل ولا يشرب كفايته من الخبز أو الماء، ولا يسمح لجسده إلا بالنذر اليسير لقوام حياته. مثل عبد عاقل يرفض إرادته الذاتية، وينفذ كل ما يصدر له من تعليمات.



📖 ٦٧- الراهب الذي يسلم نفسه كعبد لآبائه في الرب، يمنعه خوف العذاب من أن يختار بين الأوامر التي يتلقاها ما يخفف آلام قلبه، أو يحل قيود خوفه.

📖 لا يصغى إلى هؤلاء الذين قد يشجعونه على هذا العمل بسبب الصداقة، أو الاطراد، أو بالأمر، فهو يؤثر دائما ما يزيد هذا الألم، ويزيد تشديد قيوده أكثر فأكثر، ويرحب بما يقوى جلاده.

📖 سوف يحافظ دائما على هذا الاتجاه، دون أمل في تحرير نفسه تماما من أقصى أنواع العذاب الذي يستحقه، لأن رجاء التحرير يخفف آلام القلب، الذي هو في ذات المرحلة غير صالح للتائب.

📖 ٦٨- الخوف من العذاب، وآلام القلب التي يحدثها، نافعة لكل من يبدأ حياته في الرب. فالإنسان الذي يأمل أن يضع أساس حياة البر دون هذه الآلام، أو أن يحرر نفسه من قيود الخوف، يضع أساس عمله في الرمال، ويتوهم أنه يبنى بيته في الهواء على غير أساس، وهذا بالطبع محال.

📖 وفى نفس الوقت تتحول هذه الآلام بسرعة جدا إلى فرح، وهذه القيود تقطع رباطات جميع الخطايا، والانفعالات، وهذا الجلاد لا يقود الإنسان إلى الموت، بل إلى الحياة الأبدية.

📖 ٦٩- الإنسان الذي بدلا من أن يتجنب ويهرب من آلام القلب، الناتجة عن الخوف من العذاب الأبدي، يقبل هذه الآلام عن طيب خاطر في قلبه "بإتباعه الطريق الصحيح في ألم، أو بإتباعه ما تقرره إرادته. ومع قبول قلبه بما يوحى إليه من عذاب وخوف" كل هذا سوف يتكرر كلما تقدم، بأن يشدد القيد أكثر فأكثر.

📖 وهكذا سوف يتقدم بسرعة أكثر، وتقوده إلى جوار ملك الملوك. وعندما يحدث هذا بمجرد أن يرى مجد الله ولو بغير وضوح، ستتلاشى في الحال قيوده وخوفه، وسيسرع جلاده إلى الخروج،

وينقلب حزن قلبه إلى الفرح، الذي يصبح فيه ينبوع حياة، أو نبعا يتدفق ماؤه دائما {ماديا} أنهار من الدموع، و{روحيا} سلام، وداعة، ابتهاج لا ينطق به، مع شجاعة واستعداد غير معوق للكفاح نحو إنجاز وصايا الله.

📖 وهذا الأخير غير مستطاع للمبتدئين، بل فقط لهؤلاء الذين يسيرون بخطى ثابتة نحو الهدف. لأجل هؤلاء الذين أوشكوا على الاقتراب إلى الكمال، هذا النبع يتغير إلى نور، مع تغيير وتحويل مفاجئ للقلب.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب ـ الباب الرابع ـ سمعان اللاهوتي الجديد
تعاليم عملية ولاهوتية ـ صفحة ١٥١ ـ ١٥٣

{١٩}

البابا ثيئوفيلس البطريرك

📖 **قال أنبا ثيئوفيلس:**

📖 إنني أفزع وأنا خائف، فأية رعبة وأيّة شدّة تعاين النفس عند خروجها من الجسد، إذ يأتي ضدّها الجنود، والقوات المضادّة، وأرواح الشر، والذين يتحكمون في ظلمة هذا العالم الخبيث.

📖 فيأخذون النفس، ويُظهِرون لها كل ما فعلت من الخطايا بمعرفةٍ أو بغير معرفةٍ، أو بجهالة منذ شبابها، ويحاججونها على كل ما فعلت.

📖 فأيّة شدّة ورعب تلاقيهما النفس في تلك الساعة حتى يُحكَم في قضيتها وتُعتَق. هذه هي ساعة شدّتها حتى ترى نهاية أمرها. ومن ناحية أخرى تقف القوات السماوية من الناحية المقابلة، وتُظهر أعمال النفس الصالحة. فتفكّر في خوف النفس ورعبتها، وهي تقف بين الفريقين حتى يُحكم عليها في الدينونة من القاضي العادل.

📖 فإن كانت مستحقة للنعيم تأخذها الملائكة بكرامة وتحفظها من الأشرار، فتصير من ذلك اليوم بغير همٍّ كما هو مكتوب: «لأن جميع الساكنين فيكِ هم من الفرحين» {مز٨٦: ٧ سبعينية}.

📖 وحينئذ يتم المكتوب: «يهرب الحزن والتنهُّد» {إش٣٥: ١٠}،
📖 وحينئذ تفلت النفس من ضابطي الظلمة، وتذهب إلى ذلك المجد المبهج الذي لا يُنطَق به.

📖 ولكن إن وُجِدت النفس في حياة التواني، تسمع ذلك القول المرعب: «يُبعَد المنافق لئلاّ يعاين مجد الرب» {أُنظر إش٢٦: ١٠}،
📖 حينئذ يدركها يوم السخط، يوم الحزن والشدّة، يوم الظلمة وظلال الموت، وتُلقَى في الظلمة الخارجية، ويُحكَم عليها بالعذاب المؤبَّد في نار غير مطفَأة. أين تكون حينئذ أباطيل هذا العالم؟
📖 وأين يكون المجد الباطل؟ والحياة الجسدانية؟ أين المتعة؟
📖 حينئذ يهرب كل نعيم ولذّة، ولا يوجد هناك فرح ولا راحة، ولا غنى، ولا جاه، ولا أب ولا أم ولا أخ، ولا مَنْ يخلِّص من هذا اللهيب والعذاب المرّ المعدّ لنفوس الخطاة. فإن كانت هذه الأمور هكذا، فأي تدبير بأمانة وقداسة ينبغي أن نتدبّر به في هذا العمر؟
📖 أيّة محبة علينا أن نكتسب؟
📖 وأي تسبيح، وأي صلوات، وأي تحفُّظ، يجب علينا أن نعمل به؟
📖 يقول الكتاب: «إذ أنتم منتظرون هذه، اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنس، ولا عيب في سلام» {٢بط٣: ١٤}.
📖 وبذلك نكون مستحقين أن نسمع ذلك الصوت المملوء فرحًا القائل: «تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعدّ لكم منذ تأسيس العالم» {مت٢٥: ٣٤}. له المجد إلى دهر الدهور آمين.

كتاب فردوس الآباء - البابا ثيئوفيلس البطريرك - الجزء الثالث ١٩١ - ١٩٢

{١١}

أغناطيوس بريانتشانينوف

الفصل الثامن والعشرون: في ذكر الموت

📖 على الراهب أن يتذكر كل يوم، لا بل مرات عدة في اليوم، أنه يواجه الموت الحتمي لا محالة، وأنه مدعو في النهاية أن يبلغ ذكر الموت على الدوام.

📖 لقد أظلم ذهننا بالسقطة، وإذا كنا لا نرغم أنفسنا على تذكر الموت، فإننا سوف ننساه بالكلية. وعندما ننسى الموت، سوف يخال لنا أننا نعيش على الأرض خالدين، فتبذل كل جهودنا من أجل العالم، دون أن ننشغل ولو قليلا بالانتقال الرهيب إلى الأبدية، أو دون أن ننشغل البتة بمصيرنا في الأبدية.

📖 وإذ نفعل هكذا، فإننا سرعان ما نهمل وصايا المسيح بجسارة وحزم، فنرتكب أشر الآثام، ونهمل ليس الصلاة القلبية فحسب {صلاة الرب يسوع}، بل أيضاً كل الصلوات المحددة بأوقات، ثم نشرع في ازدراء هذا العمل العظيم والأساسي، كما لو كان أمرا قليل الأهمية، والحاجة إليه ضئيلة. وإذ ننسى الموت الجسدي، نموت روحا.

📖 ومن الناحية الثانية، فإن من يتذكر موت الجسد على الدوام، فإنه يقوم من بين الأموات، بالنفس {أفسس ٢: ١-٦}، {كو٣:١}، {رومية ١١٠٨}، {عبرانيين١١:١٣ -١٩}، {٢ كور٤:١٠}. ومن يعش على الأرض كغريب في فندق، أو كسجين في زنزانة، يتوقع على الدوام الدعوة إلى المحاكمة، وسماع الحكم الصادر بحقه، وأمام عينيه أبواب الأبدية مشرعة، وعلى الدوام ينظر في ذاك الاتجاه بقلق روحي، وحزن عميق، مع تأمل.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ١٥٠

📖 ويكون على الدوام منشغلا، ومتسائلا ما الذي سيبرره في يوم دينونة المسيح العتيدة، وما سوف يكون الحكم الصادر بحقه. هذا الحكم سوف يقرر مصير الإنسان في الأبدية.

📖 ليس من جمال أرضي، ولا من متعة أرضية تجتذب انتباهه وحبه. إنه لا يدين أحدا، وذلك لأنه يتذكر أنه في حضرة دينونة الله، وأن الدينونة ستكون موجهة إليه، لأنه دان قريبه.

📖 ويسامح كل إنسان، وكل شيء، كي يحظى هو نفسه بالمسامحة وينال الخلاص. إنه يهتم بالجميع، ورحوم في كل شيء، وذلك كي يحظى هو نفسه بالرحمة، والاهتمام.

📖 إنه يرحب ويحتضن بفرح كل مشكلة، أو تجربة تحل به بسبب خطاياه، في وقت يعفيه من دفع الدين في الأبدية. وإذا راوده فكر يدعوه إلى الافتخار بفضيلته، فإن ذكر الموت، سرعان ما يندفع ضد فكر الافتخار، ويخزيه مظهرا تفاهته، ومن ثم يبعده ويقصيه.

📖 أية قيمة لفضيلتنا عندما تأتي دينونة الله؟ ما قيمة فضيلتنا في عيني الله الذي السماء نفسها، غير طاهرة بالنظر إليه {أيوب١٠:١٥}؟

📖 ذكر نفسك، ذكرها وقل: سأموت، سأموت لا محالة. لقد مات آبائي وأجدادي. ليس من مخلوق بشري عاش إلى الأبد على الأرض. والمصير الذي أصاب كل إنسان، ينتظرني أنا أيضاً.

📖 لا تهدر الوقت المتاح لك من أجل التوبة. لا تسمر عينيك في الأرض التي أنت عليها، فأنت عليها في مسيرة غربة، وفيها أعطي لك رحمة من الله أن تغير ذهنك، وتتقدم في التوبة، كي تتفادى سجون الجحيم الأبدية، والعذابات التي فيها.

📖 بادر إلى استخدام أوان محجتك القصير، على الأرض، من أجل اقتناء السلام، والملاذ المغبوط في الأبدية. جد من أجل امتلاك الأبدية، وذلك بنبذ كل قنية أرضية، وكل ما هو شهواني، وطبيعي، في نطاق طبيعتنا المعطوبة. بادر إلى حفظ وصايا المسيح.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ١٥١

📖 بادر إلى توبة صادقة عن كل ما اقترفته من ذنوب. بادر إلى شكر الله وتسبيحه، من أجل الصعاب والشدائد التي حلت بك. مبتهلا إليه بكثرة الصلاة والإنشاد. تضرع بصلاة الرب يسوع، وأقرن ذكر الموت بها. وهذان الأمران، أعني بهما صلاة الرب يسوع، وذكر الموت، من شأنهما أن يتحولا إلى نشاط واحد.

📖 فمن الصلاة يفيض تذكر الموت، كما لو كان تذوقا مسبقا له. ومن التذوق المسبق للموت، تزداد الصلاة اضطراما واشتعالا.

📖 وعليه، من الضروري للراهب أن يتذكر الموت، لأن هذا التذكر هو من الضرورة بمكان في حياته الروحية، فهو يصون حياة الراهب الروحية، ويحميها من الأذى، والفساد المتأتي من الثقة بالنفس، والتي إليها تتجه الحياة الجهادية واليقظة. إلا إذا حفظها ذكر الموت، والدينونة.

📖 إنها كارثة عظيمة تحل بالنفس التي تضع قيمها على أساس جهدها وجهادها، معتبرة هذا الجهاد امتيازا في عيني الله. اقبل أنك تستحق كل قصاص على الأرض، وفي الأبدية، لأن موقفا كهذا، هو الأكثر أصالة ونفعا من أجل نفسك، وهو في الوقت عينه، الأكثر إرضاء لله.

📖 عدد بتواتر، التحسرات الأبدية التي تنتظر الخطأة. وإذ تلخص هذه المآسي، اجعلها نصب عينيك حية على الدوام.

📖 اقتن تذوقا مسبقا لعذابات الجحيم، حتى عندما تتذكرها وتتصورها، تهتز نفسك وترتعش، وتقصي ذاتها عن الخطيئة، ويكون لها ملاذ عند الله، مقرون بصلاة متواضعة من أجل الرحمة.

📖 ضع كل رجائك على خيريته اللامتناهية، ولا تعلق ثقتك بنفسك. استحضر لنفسك البحر الرهيب الذي لا قياس له، والسجن الذي هو الجحيم {رؤيا ٢٠ :١-٣}. هذا هو الواقع بالنسبة للناس. فسجن الجحيم

يتألف من أقسام عدة، وأنواع كثيرة من العذابات، بها يتقاضى كل إنسان اجرة أعماله، التي قام بها أثناء حياته على الأرض.
كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ١٥٢

أثناء حياته على الأرض. والسجن أبدي في كل الأقسام، وكذا هي العذابات. وفيه تهيمن الظلمة الأبدية التي يعسر اختراقها، والنفاذ إليها، وفي الوقت عينه تشتعل النار التي لا تطفأ، بقوة مماثلة للظلام الدامس. ليس في الجحيم نهار، بل ليل أبدي فقط.

النتانة في الجحيم لا تطاق، ولا يمكن مقارنتها بأوسخ نتانة أرضية. ودود الجحيم لا يهدأ، ولا ينام، بل يقرض ويقرض ملتهما سجناء الجحيم، دون أن يتلفهم، أو يسحق وجودهم، وأيضا دون أن يشبع.

هكذا هي طبيعة كل عذابات الجحيم، فهي أسوأ من أية ميتة، لكنها لا تنتج موتا. فالموت في الجحيم شهوة، كما هي الحياة على الأرض. الموت في الجحيم هو راحة لساكنيه، لكنه لا يعطى لسجنائه.

سجن الجحيم. حياة لا تنتهي، في خضم ألم لا نهاية له.

والنفوس الضائعة في الجحيم، تكتوي بآلام مبرحة؛ هناك يسود السجن الأبدي، للذين رفضهم الله. فهؤلاء يكتوون في الجحيم في ألم لا يطاق، وعذابات، هي أشد أمراض النفس إيلاما، أعني بها اليأس.

أعترف أنك محكوم {عليك} بالعذابات الأبدية في الجحيم. فهذا الاعتراف من شأنه أن يولد في قلبك صراخا عظيما أثناء الصلاة، لا يقاوم، ومن شأنه أن يجعل الله يشفق عليك ويرحمك، ويقودك إلى الفردوس بدل جهنم.

أنتم يا من تعتبرون أنفسكم أهلا للمكافآت الأرضية والسماوية. إن الجحيم بالنسبة إليكم هي أكثر خطرا، مما هي عليه حالة الخطأة في الجحيم. فالكبرياء، والاعتداد بالذات، والثقة بالنفس، هي أعظم

الخطايا. هذه خطيئة الروح التي لا تراها العيون الترابية، والتي يغطيها في العادة قناع التواضع.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ١٥٣

📖 لقد عرف أعظم الآباء القديسين ذكر الموت، ومارسوه. حتى أن
📖 كاتب سيرة القديس باخوميوس الكبير يقول، بأن باخوميوس حفظ نفسه على الدوام في مخافة الله، وتذكر العذابات الأبدية، والآلام التي لا نهاية لها. وأعني بذلك تذكر النار التي لا تطفأ، والدود الذي لا يموت. بهذا السبيل، حفظ باخوميوس نفسه من الشر، فانطلق إلى ما هو أفضل.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ١٥٤

{١٢}

الشيخ إفرام فيلوثيو

في تذكّر الموتِ ـ الجحيم ـ الدينونة

📖 ١ ـ كلّما تقدمت بالسنّ كلّما أدركتُ أكثر تفاهة الأمور الأرضية، وعدم استقرارها.

📖 أوّاه، لماذا نُقلقُ أنفسنا باطلاً؟ حياتنا قصيرة، إنها غبار، رماد وأضغاث أحلام، وبعد برهة وجيزة سنذوق طعم الفساد.

📖 أنت اليوم في كامل صحتك، وغداً ستخسرها. اليوم تضحك وغداً ستحزن. الآن تذرف عيناك دموع الفرح، وقريباً ستذرف دموع الحزن والألم. اليوم الوضع الاقتصادي مستقر، وغداً ستحدثُ المحن. اليوم تتلقى أخباراً مفرحةً، وبغمضة عين ستحلُ مكانها أخبار محزنة. إننا تتعب أنفسنا باطلاً. حياتنا ظل وحلمٌ عابر.

📖 أين أهلنا، أقرباؤنا، وأجدادنا؟ لقد غيبهم القبرُ كلّهم، وتحللوا، وأصبحوا مأكلاً لديدان القبر، والانحلال ينتظراننا نحن أيضاً.

📖 **أيُّها الموت، إن تذكرَكَ لمرٌّ جداً:**

📖 أعطانا مسيحنا القوة لنصير أبناء الله {يُوحنا ١:١٢}، بتسليحنا بالعديد من الأسلحة الإلهية، لنحارب عدونا العديم الشفقة. لكننا - وأنا أوّل الجميع - نصبح أسرى لدى خصمنا، بإهمالنا للأسلحة التي أعطاها المسيح لنا. وكلما اقتربنا من الموتِ كلما ارتعدنا هلعاً، وحاولنا بشتى الوسائل أن نُطيل حياتنا، لأن النفس تخافُ من مغادرة الجسدِ. لماذا؟

📖 لماذا لا تتشجعُ {النفس} كابنة لـ الله؟! أهي ذاهبة إلى ملك غريب؟!

📖 لكن الملك هو صانعُها، مخلصها، الذي أراق دمه ليعتق نُفسنا من عدوّها. فلماذا تخافُ إذاً وتفتقر إلى الشجاعة؟!

📖 الموت بارد بطبيعته، "نَفْسي حَزِينَةٌ حَتَّى الموت" {متى ٢٦:٣٨} كما قال يسوع. يأتي معظم الخوف لسوء الحظ من الضمير: إذ لا يؤكد للنفس أنها قد عاشت بشكل ملائم، لكونها لم تحيا بنظام وترتيب، ولم تغسل ثوب العرس، ولهذا تخجلُ من المثول أمام الملكِ، متفكّرةً بالحكم الذي ستناله: نعم أو لا؟ هل سأخلص أم لا؟

📖 إذا غادرت النفسُ بدون اعتراف، وبدون توبة كاملة، فالويل لها عندئذ. هذا هو اليوم الشرير الذي أشار إليه إرْمِيَا النبي: "لا تَكُنْ لِي رُعْباً. أَنْتَ مَلْجَأي فِي يَوْم الشر" {إرميا ١٧:١٧}.

📖 دعُونا نصلّي كي ينقذنا إلهنا القدّوس، من جميع هذه الأهوال، بإعطائِنا توبةً كاملةً، وأعمالاً جديرةً بها، أعمال رحمة، ومحبة، وروح توبة، مع تواضع حقيقي. عسى أن يكون الديانُ العادل رحيماً معنا، حتى إذا حانت ساعةُ الموتِ المخيفة، تتشجّع النفس واثقةً برحمة الله، وقائلة: "أنا واثقة بأن الله سيرحم حقارتي"، آمين

📖 تتوالى السنوات وتمضي، مقتربين يوماً بعد يوم من نهاية حياتنا، يمر وقتنا الثمين ويتلاشى أمام أعيننا، دون أن نُدرك ما الذي يفلت منا بشكل غير ملحوظ.

📖 إذا عرف الطفل الصغيرُ قيمة الذهب فلن يفضل الحلوى الرخيصة عليه. ألا ينطبق هذا أيضاً على البشر، وخاصةً عليَّ أنا؟ عندما سيأتي ربُّنا في الوقتِ المحدّدِ ليدين العالم، حيث ستطوى السماء مثل قطعة من الورق، والأرضُ - التي تدنّست بسبب القاطنين عليها - ستتجدد، وتتساقط الشمس والقمر والنجومُ كأوراق الخريف، ويدوي صوت البوق في كل أرجاء العالم.

📖 وتتقارب العظام الجافة المبعثرة من بعضها، ويبسط عليها اللحم والجلد {حز٣٧:١ – ١٤}، وتجتمع طغماتُ الملائكة في السماوات، على شرف الديانِ المرهوب الآتي، وترفع الغيومُ الصغيرةُ حشود الناس القائمين، وتحمل البشر القديسين والمخلصين، ليلاقوا الرب في الهواء.

📖 عندئذ سينتحب الذين بقوا في الأسفل بمرارة، لدى مشاهدتهم جميع هذه الأمور قارعين صدورهم بيأس، متفكرين كيف أضاعوا وقتهم الثمين هنا في الملذاتِ، في شرب الخمر، في جمع الثروات، في الأفعال الأثيمة، في البخل والجشع، وكلّ خطيئة وهم الآن مدانون.

📖 بهذا الوضع المؤسف والمرثي له، لهذا سيطلبون على نحو مثير للشفقة القليل من الوقت، ليسرعوا نحو الفقراء، والمرضى، وكلّ شخص معوز، عساهم بذلك يسمعون هم أيضاً صوت الربّ العذب، قائلاً لهم: "تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيباً فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَاناً فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضاً فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوساً فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ." {متي25:34-36}.

📖 لقد سمعوا في حياتهم عن هذه الأمور. لكن، لا توجد توبة في الجحيم. لهذا السبب سيستولي عليهم يأس عظيم، حتى أنهم سيطلبون الموت، ويتحرّقون رغبة فيه ليضع حدا لمعاناتهم اللانهائية. لكنّهم لن يجدوه لسوء الحظ، فكل شيء قد أصبح خالداً ـ جميع هذه الأمور تنطبق عليّ.

📖 **٣.** يأتي الإنسان ويشاهد نور العالم وهو يبكي، يُمضي حياته بالنحيب والأحزان، ويغادر العالم بالدموع والألم. باطل الأباطيل!

📖 يختفي الحلم، ويستيقظ الإنسان على واقع الحياة الحقيقية.

📖 ما من أحدٍ يلاحظ كيف تمر هذه الحياة الفارغة - تنقضي السنين تمرُّ الشهور، تعبر الساعات، تتوالى اللحظات بشكلٍ غير مدرك، ثم وبدون سابق إنذار تصلُ البرقيةُ: "أَوْصِ بَيْتَكَ لأَنَّكَ تَمُوتُ وَلاَ تعيش" {إشعياء ٣٨:١}.

📖 عندها تنكشفُ الخدعةُ، ويدرك الإنسانُ المحتضر الدور المهم الذي قام به العالم، ويشعر بالندم، واليأس، ويتوق لعودة الوقت الذي مضى سدى، وهو على استعدادٍ ليعطي كل ثروته مقابل يوم واحدٍ ليتوب، ويأخذ المناولة المقدسة.

📖 لكنّه ولسوء الحظ، لن ينال أياً مما تشتهي نفسه. فالوقت كان تحت تصرفه لسنين عديدة، لكنه أضاعه منشغلاً في الأعمال، في الحانات، في دورِ السينما، وفي كل رغبة فاضحةٍ.

📖 حكيم هو التاجر الذي أدرك خداع هذه الحياة الوقتية، فأرسل بضائعه إلى السماء قبل أن ينتهي معرض الحياة، ليجدها هناك في خزائن مدينة الله السماوية، مع أرباح وفوائد متراكمة.

📖 مبارك هو ذلك الرجلُ الحكيم، لأنَّه سيحيا حياةً مباركة بلا ألم، حتَّى دهر الدهور. أما البشر الجاهلون، السكارى، الجشعون، محبو الأموال، الفاسقون، القتلة، وبقية رفاقي الخطأة - الذي أنا أولهم - فسيرمون في أتون النار التي لا تنطفئ!

📖 دعونا الآن نمشي بسرعةٍ، ما دامت الشمس تشرق، واليوم يلقي بنوره الحلو علينا، على طريق تقويمنا وإصلاحنا، قبل أن يباغتنا ليل الآخرة الآتي، فعندها لن نقدر على السير.

📖 يقول القديس بولس الرسول في كلماته الخالدة: "إِنِّي فِي وَقْتٍ مَقْبُولٍ اسْتَجَبْتُ لَكَ، وَفِي يَوْمِ خَلاصٍ أَعَنْتُكَ" {٢كورنثوس ٦:٢}

📖 **٤. يجب أن يزدهر ذكرُ الموتِ في نفس المسيحي!**

📖 فالذي يؤمن بالحقيقة الصادقة، يستحيل عليه أن يتجاهل الموت.

📖 بعد أن تعافى شيخي من مرض القلب، بكى وتلا قطعةً من خدمة الجنازة: "ويلي أي جهادٍ يصيرُ للنفس حينما تنفصل من الجسد".

📖 نعم، هذه هي الحقيقة! لقد عبّر كاتبُ المزامير بشكل رائع عن السلام الذي تختبره النفس المستعدة لتلك الساعةِ: "أخذتُ أُهْبَتي غيرَ هَيَّاب من أجل حِفظِ وصاياك" {مزمور ١١٨:٦٠}.

📖 يجب أن تتوقع النفس في آية لحظة وصول البرقية من السَّماءِ، لتقطع جميع الارتباطات مع الأمور الأرضيّة، خاتمةً زمن هذا "المعرض"، حيث سيقدم كل إنسان حساباً دقيقاً عن تجارته الروحية، ويضع خاتمة لمصيره الأبدي، إما في أعالي السَّماواتِ، أو في أعماق الجحيم، تهرب الكلماتُ منّي عندما أتأمّلُ بهذه الأمور!

📖 ليرحم الله الشفوق نفسي البائسة، التي لا تملك شيئاً من الصالحات، بل فقط لامبالاتها، وعدم استعدادها.

📖 يتوقف عقلي عن العمل عندما يتفكّرُ بهذه الحقيقة المطلقة المتعلقة بالخلاص "الأبدية"، إنَّها سرّ عظيمٌ يُضلّنا العالم، الجسد، والشرير ويرموننا في جب النسيان، وفجأة يُسمَعُ الصوتُ: "انتبه، هوذا الختنُ آتٍ!".

📖 أي استعدادٍ يمكننا أن نقدّمه ونحن نلفظ أنفاسنا الأخيرة، وقد خنقنا ضميرنا حتى لم يعد باستطاعته الشعور بأي شيءٍ، وتبكيتنا عليه؟ سنسمعُ في هذه اللحظاتِ صوت الحق: "الآن، والشمس تغرب، تذكرُ الله. ماذا كنت تفعلُ طوال اليوم عندما كانت الشمس مشرقة؟"

📖 **يقول يسوع: "انتبهوا واستعدوا"**

📖 طوبى لمن لديهم آذان ليسمعوا ويستعدّوا، إذ سيستحقون السعادة الأبدية. مباركون هم الخدام الذين يجدهم الرب مستعدين عند مجيئه، لأنهم سيبتهجون أبدياً.

📖 فلنتحمل بصبر أحزان الحياة، لكي نربح الأمور الأبدية المليئة بالفرح. "باطلاً يضطرب كل ترابي، لأننا إذا ربحنا العالم فحينئذ نسكنُ القبر، دعونا نمشي باتجاه مقصدِنا العظيم ما دام النور ساطع، فساعة الظلمة آتية، وعندها لن نستطيع أن نعمل شيئاً من أجل خلاص نفوسنا.

📖 **٥. ارفع ذهنك إلى كرسي محكمة المسيح المخيفة:**

📖 فأي دفاع سنقدمه في يوم الدينونة عندما تُفحَصُ أعمالنا؟

📖 مرعبة الساعة التي تنتظر فيها النفس بخوف سماع القرار المتعلّق بموضع سكناها الأبدي!

📖 كلمة "الأبدية" مخيفة! لنفهم جزئياً معناها، سأضرب لك مثالاً.

📖 تخيل أن الأرض كلها قطعةٌ ضخمة من الغرانيت، وكلّ ألف سنة يأتي عصفورٌ ليشحذ منقاره على هذه الصخرة. عندما تتأكلُ الصخرة

كلها من منقار هذا العصفور، عندها سنملك فكرةً بسيطةً عن معنى الأبدية، الخلود، أو الحيـاة اللامتناهية!

🕮 أبديتنا رهن بحياتنا هنـا علـى الأرض، مثـل رمـي القطعـة النقديـة: الفـردوس أو الجحيم! لذلك يلزمنا الكثير من الانتباه!

🕮 **٦. لقد صبرت لسنين كثيرة، وها هي قد مرّت كالحلم.**

🕮 وحتى لو عشـنا ألف سنة، فهي ستمضي كالحلم أيضاً.

🕮 باطل هو كلُّ أمرٍ أرضي!

🕮 الموت يلي الحياة. وهو انتقال الإنسان من هذا العالم إلى العالم الآخر الأبدي والخالد. ليس مهماً إذا غادرَ الإنسانُ هذه الحياة هنا على الأرض، فبطريقة أو بأخرى، سنموت كلّنا يوماً ما. لكن المهم هو ألا نخسر حياتنا الخالدة.

🕮 الحياة اللامتناهية في الجحيم أمر مخيف جداً! فأنقذنا منها يا إلهي.

🕮 ٧. عندما يعطينا الله يوماً جديداً، دعونا نفكر بأنه يومنا الأخير، وأنّـا سنقف لدى غروب الشمس أمام كرسي محكمة المسيح.

🕮 كيف يجب إذاً أن نقضي هذا اليوم؟ بالصمت ـ بالصلاة ـ بالطاعة ـ بذرف الدموع ـ وبالتوبة ـ متوسلين إلى الله لكي يرحمنا!

🕮 وفي الليل، يجب أن نفكر بأن هذه هي ليلتنا الأخيرة، وأن سريرنا سيغدو قبرنا!

🕮 **فليتأمل كل واحدٍ:**

🕮 كيف سأنظر إلى وجه الديان العادل؟

🕮 كيف سأسمعُ صوت توبيخه المرهب؟

🕮 أيُّ رعب سيستولي عليَّ، لدى انتظاري لسماع القـرار الأبدي، بخصوص المكانِ الذي سأوضَعُ فيه؟ وإذا ما أرسلت إلى الجحيم بعدل، ماذا سأفعل عندها؟

الويل لنفسي البائسة! كيف سأتحملُ تعذيب الشياطين لي في الظلمة، في القذارة، حيث لا يوجد بصيص من النور، وما من تعزية على الإطلاق، فقط منظرُ الشياطين، وما من شيء آخر!

يجب أن نتفكر بهذه الأمورِ كلِّ يومٍ، وكل ليلة:

ونعيشها وكأنها الأخيرة! فنحن لا نعرف متى ستأتي البرقية من مركز الله، من العاصمة، من أورشليم العلوية.

انتبه يا ولدي! لا تدع الوقت يمرُّ سدى، بدون أي تقدم في نفسك. فالموت يأتي كاللص، والويل لنا إذا وجدنا كسالى. عندها ستبكي الجبالُ والتلالُ علينا، وسنُظهر مقفرين من الأعمال الصالحة، وسيرعانا الجحيم أبدياً، هذا الوضع المؤسف.

بينما باستطاعتنا، بمعونة الله، أن نتجنبه ونخلص، عند ميناء ملكوت الله! أعلم أنه علينا مصارعة الأعداء المرعبين، وإنّ التعب كبير وعظيمٌ. لكن، بقوّة الله ستسيرُ كل الأمور حسناً، عندما تتآزر إرادة الإنسان وقوته مع نعمة الله.

٩. عندما تجلس في قلايتكَ، دع ذهنَكَ يتأمل في الموت:

لا تسمح له بالتجوال هنا وهناك، بل اجمع أفكارك: تأمل فناء جسدك، شاهد كيف يقشعر بدنك ويتغيّر، وكيف تغادره النفس.

أي جهادٍ ستخوضه النفس لدى انفصالها من الجسد!

كم ستنتحب وتتأوه، نادمةً وآسفةً "تحدق بناظريها إلى الملائكة وليس من يغيثها. تبسط يديها إلى البشر وليس من يعينها.

حملت ملائكة الله إحدى النفوس المخلصة نحو السماوات. بينما انحدر جمع الملائكة، الذين أخذوا للتوّ نفساً أخرى إلى السماء، واحتضنوا تلك النفس، فشعر هذا القديس بطيب ذكيّ العرف، ينضح من معانقة تلك الملائكة لدى اقترابهم من عرش الله.

عندها قالت الملائكة: "المجد لله الذي ساعد هذه النفس لتخلص"

📖 يجب ألا نهمل هذا التأمل بالموتِ، وغيره من التأملات المفيدة، التي تخلق يقظة في النفس، وتطهر الذهن وتنظفه، ليتأمل بشكل أفضل. هذا التأمل هو عائقٌ للأفكار الشريرة. وإذا ما امتلكناه بداخلنا، يمكننا أن نغلق الباب أمامها، إذ لا يوجد مكان لها عندنا، لأنّ هذا التأمل يشغل كلَّ حيز الذهن. بدونِ تأملات إلهية سننهزم أمام التأملات الشهوانية.

📖 يبتعد العالَمُ جداً عن الحقيقة:

📖 يعملُ الناسُ، ينامون، ويسافرون عبر البحار، غير مدركين ما الذي سيحدث وراء القبر! الحقيقة تغشيها ظلمة كثيفة، كما تحجب الغيمةُ نور الشمس. وإذا عرف الإنسان أن هذه الحياة مسرح سريع الزوال، يضيع الناسُ فيه وقتهم بالرقص والمرح، فسيدرك حماقة وتفاهة البشر، والإنجاز العظيم للشياطين.

📖 هناك طريقتان مختلفتان للتفكير:

📖 يفكّرُ البشر العالميون بالأشياء التي تسبق القبر، ونحن نفكر بالأمور الموجودة بعد القبر! إنَّهم يفكرون بالأشياء الحاضرة التي يرونها ويؤمنون بها.

📖 لكن إنجيل المسيح يلقي بضوئه على النفوس الراغبة بأن تخلص، ويفتح أمامها آفاقاً جديدةً لوعي وإدراك الله الحقيقي: "فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلامَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لا تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا" {رو ١٨:٨}. سيكون هناك مجد لا يُحَدُّ ولا يوصف، لكلِّ الذين يسيرون في نور المسيح!

📖 ما من عذر نقدّمه لله مقابل إحساناته الغزيرة:

📖 لقد دعانا دعوة مقدسة، وأظهر لنا طريق النور والحق!

📖 عظيمة هي رحمة الله! دعونا نستفيد منها ولا نستخف بها. لنتأمل ليلاً ونهاراً بنفوسنا وبطريقة جهادنا. يقربنا التأمل وممارسة الفضائل من الله بسرعة. يجب ألا نتوقف عن تذكرِ الموتِ في أي وقت.

📖 قال الآباء القديسون بأن الإهمال لم يغلبهم في قلاليهم، لأن ذكر الموتِ كان شغلهم الشاغل ليلاً ونهاراً. إذ كانوا يفكرون دوماً: "إذا كان اليوم أو غداً هو يومي الأخير، فماذا على أن أفعل؟". وبهذه الطريقة بقي ذهنهم ملتصقاً بمخافة الله، التي أنارت ضميرهم، ليغصبوا ذواتهم في الجهادِ.

📖 لا تؤثر هذه الأفكار على الإنسان في البداية، لأنَّ نفسه تكون عندها ميتةً وكسولة. لكن تدريجياً تبدأ هذه الأفكارُ بالتحرك داخله، وتدب فيها الحياة، وعندئذ تقوم بعملها بشكل طبيعي.

📖 **١٠. انتبه لنفسك يا ولدي:**

📖 اقرأ كتابات الآباء، صلِّ صلاة يسوع المحبوبة، التي ستقوي أساسات نفسك، تأمل بالموت، فهو ذلك الضيف الذي سيأتي إلينا بلا ريب. آه أيها الموت!

📖 تذوق النفس كأس الموتِ المرّة عند انفصالها بقوةٍ عن الجسد. يا للندم العظيم الذي سينتابنا بسبب كل ما فعلناه بداعي كسلنا وعدم انتباهنا! سيعذبنا ضميرنا وكأننا نختبر الجحيم مسبقاً! فلماذا ندع متعة الخطيئة تهزمنا، لأننا سندفع الثمن بألم شديد، وبدون أمل بالشفاء؟

📖 يولد الإنسان وهو خليقةُ الله المنتَخَبَةُ والفريدة، على هذا الكون بطبيعة مزدوجة، ويوماً ما سيموتُ بالجسد، غير قادر على إبقاء ذاته حياً. ينفحه الغرور كالبالون، إلا إنه سيموت بسبب مرض ما.

📖 لا يملك الإنسان السلطة على ذاته، فهو محكوم من قبل إرادة أشخاص آخرين وأوامرهم، بدون أن يدرك ذلك، ومُقادٌ بشكل لا إرادي، وعاجز بالكامل عن المقاومة.

🕮 أيها الإنسانُ المتفاخرُ والمتباهي، ما هي الأمور المبالغ بها التي تتخيلها ذاتك؟ عندما تهاجمك جرثومة غيرُ منظورةٍ تقعُ للتو فريسةً للمرض، وتنتهي في القبر.

🕮 **أيها الكائن الفاني المغرور!**

🕮 ها الموتُ آتٍ ليأخذك إلى أرض غير معروفة، وستخضعُ له دون أية معارضة. هل أنت قادر على الرفض والمقاومة والهروب، مما سيحدث لك في تلك الساعةِ المخيفة؟ كلا، أبداً.

🕮 ما من مساعدة على الإطلاق. إذاً لماذا تفتخر، أيها الإنسانُ المجبولُ من الطين، وأنت عاجز، بائس، عديم النفع؟ ما هو الشيء الذي تملكه ولم تأخذه من الله؟ ألا يقدر هو على أخذه منك عندما يشاء؟ نعم. لذلك أحن رقبتك وتواضع فتخلص.

🕮 **١١**. كان لوط البار يتألمُ ليلاً نهاراً، بسبب وجوده بين أناس مبذرين فاسقين. لقد حزن لرؤيته أفعالهم الشائنة. لكنه لم يَدِنْ أحداً منهم، ولهذا استحق أن تظهر له الملائكة، وينجو من الحريق والدمار الذي جلبه الله على مدنِ الأشرارِ والفاسقين.

🕮 أليست الأمور هنا أسوأ من سدوم وعمورة؟ يجب أن نتوقع غضب الله، والنار، والكبريت! فلنأخذ العبرة من مثال لوط حتّى ننجو من الدمار - لا الوقتي فقط، كالقدماء، بل الأبدي واللانهائي!

🕮 علينا أن نتيقظ فنحن لا نعرفُ الساعة التي سيأتي فيها اللص "الموت". دعونا ننتبه، ونسهر لنحرس ثروتنا، ليس فقط غنى إيماننا الأرثوذكسي، بل أيضاً غنى النعمة التي حُسبنا أهلاً لأن ننالها في جرن المعمودية المقدسة.

🕮 إنَّ الموت هو الأمر الوحيد المؤكِّدُ الذي سيواجهه كل إنسان. لهذا يجب أن تبقي ذكر الموت حياً بداخلنا دوماً، لأننا بهذا الذكر

الخلاصي سنتجنب موت النفس، الذي هو الانفصال الكامل عن الله في الآخرة.

📖 أغصبوا ذواتكم طوعياً، كما يقول الرب في الإنجيل "وَمِنْ أَيَّامِ يوحَنَّا المَعْمَدَانِ إِلَى الآنَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ، وَالغَاصِبُونَ يَخْتَطِفُونَهُ" {متى ١١:١٢}. لأنكم لا تعلمون متى سيزوركم ختن نفوسكم، والويل لمن يجده متراخياً ومهملاً لخلاصه.

📖 صلّوا لي أنا أيضاً، لأنني لا أطبق ما أعظ به. الويل لي أنا الشقي! بأي وجه سينظر الله إلي؟

📖 **١٢. تأمل الموت يا ولدي، فهو يحصد الكلِّ:**

📖 جميع الأمور البشرية تذوب، وتحترق كالشمع. أما الأعمالُ الإلهية "التي فعلناها من أجل محبتنا لله" فستسطع منيرةً درب الإنسان لدى صعوده نحو عرش الله.

📖 قم بأعمال الخلاص، حتّى لو تطلبت جهداً هائلاً. يُعتبرُ كل شيء جهاداً ـ نسكاً ـ ومقاومة للشرير ـ وستنال حتماً مكافأتكَ العادلة.

📖 اغصب ذاتك ـ تذكر رحيلك ـ موتك ... ودينونة الله المخيفة.

📖 فكر في الجحيم، والبشر الهالكين يا ولدي. اعتبر ذاتك واحداً منهم، وعندئذ ستبدو أحزانك لا شيء بالنسبة لك، وستحل على نفسك تعزية عذبة.

📖 **١٣. يجب أن تتأمّل بوقتِ الموتِ المجهول!**

📖 تفكر بالكرسي المهيب الذي ينتظر نفسنا الشقية، وبالعذاب المؤلم الذي ستعانيه من الشياطين. يا له من عذاب أبدي لا نهاية له.

📖 لكنَّ الشرير، لسوء الحظ، يسلبنا كل هذه التذكارات الخلاصيّة حتى لا ننتفع منها، ويُحضر لنا بدلاً منها تذكارات شريرةً، ليدنس بها

نفوسنا. وبما إننا نعرف حيله، فلنجبر ذواتنا على ممارسة صلاةِ يسوع المقدسة، والتأمل الروحي، فتتنقى نفوسنا، وتستفيد.

📖 **١٤. ضع في ذهنك دوماً ذكر الجحيم لأنه يحملُ ثماراً كثيرة:**

📖 من الذي يتذكرُ النار الأبدية، ولا يذرف الدموع؟ اِبكِ يا ولدي لكي يتطهر قلبك وجسدك من كلِّ هوى، وتشاهد أيامَ القداسة، وتندهش لرؤيتك غنى النقاوة والطهارة.

📖 **١٥.** مخيف هو السؤال عن المكان الذي ستنتهي إليه نفس كلّ إنسان؟ إنّ النسيان والكسل يضلاننا، وخاصةً أنا!

📖 لو تأملنا ملياً بذلك لارتعدنا من التفكير، فيما إذا كنا سنبلغ هدفنا أم لا. سيرتجف كيان الإنسان برمته، عندما يتأمل ما عند النهاية! ماذا ستكون دينونتي أنا الذي بالآثام حُبل بي؟ {مزمور ٥٠:٥}.

📖 ارحمني يا يسوعي الحلو! إني ألقي يأسي في لجة شفقتك.

📖 **١٦. إن صلواتِكَ تدعم بيت نفسي البائسة المنهار:**

📖 لا يوجد في شيء صالح، لذا أنتحب وأبكي، متذكراً ما سيحدث لي عندما أرحلُ من هذا العالم نحو السماوات، بدون التزوّد بالمؤنِ الضرورية. الويل لي، فأنا الآن قادر على تخزين هذه المؤن، لكنّ إهمالي سيجلب لي ندماً أبدياً. أليست هذه هي الحقيقة؟

📖 ثمين هو هذا الوقت الحاضر، وكلُّ لحظة منه لا تُقدر بثمن.

📖 إلا أن هذه المعرفة العميقة تبتعد عنا، فيفلتُ وقتنا من بين أيدينا، ويستحيلُ علينا أن نطالب به.

📖 **١٧.** سيعلنُ الديانُ الداخلي في تلك الساعة - ضمير كلّ إنسان – بصوتٍ قوي وجريء، إدانة الإنسان أو براءته. إذا لم يبكتنا ضميرنا فلنا ثقة أمام الله".

📖 من الضروري أن نصالح ذواتنا مع خصمنا {متى ٥:٢٥}.

📖 ما دمنا في هذه الحياة، قبل أن يقودنا ضميرنا إلى القاضي، فهناك لن ننجو قبل أن ندفع آخر قرش، مقدمين حساباً عن كل كلمة بطالة {متى ١٢:٣٦ ٢١٨٣}.

📖 طوبى للذين أبقوا أعين نفوسهم مفتوحةً، وأعدوا المؤنَ للرحلة الكبرى، والويل لي أنا الذي أُغلقت عيناي، بسبب شرين عظيمين من شرور الجنس البشري {هما} النسيان والجهل.

📖 **١٨. يجب أن نتيقظ في كلّ شيءٍ:**

📖 فخصمنا يجولُ كالأسد الزائر، ملتمساً أن يفترس الكون {١بطرس ٥:٨}. يا الله، يا إلهي! انهضي يا نفسي، لماذا ترقدين وتستريحين؟ نحن نترقب ساعةً تلو ساعةٍ صوت البوق، معلناً ذهابنا للدينونة.

📖 الويل لي! تلك اللحظة مخيفة جداً، فحياتنا الأبدية متوقفة عليها، إما الحياة مع الله، أو الحياة في الجحيم!

📖 **إن تنهداً صغيراً كفيل باستعطاف رحمة الله:**

📖 فهو يعلم أننا لا نملك شيئاً صالحاً في عينيه، وأننا ممتلئون بالضعفات، بالأهواء والأعذار الواهية. بأي وجه سنقابلُ اللهَ؟ ماذا سيقولُ لنا؟ كم من الدقة سيطلب منا، نحن الذين لم نرغب بتطبيق مثل هذه الدّقة على ذواتنا، لتعارضها مع رغباتنا؟

📖 **١٩. تذكر الموت دائماً:**

📖 فالتأمّلُ به يجب أن يكون قاعدة حياة بالنسبة لك.

📖 أي جهادٍ يصير للنفس لدى انفصالها عن الجسد، عندما تفتح الكتب، وتكشف أعمالُ الناس الخفيّةُ! كم ستتنهد عندئذ وتنتحب، لكن ما من معين أعمالها الصالحة! لذلك اجتهد في فعل الصلاح

والأعمال المفيدة الآن، ما دامت فيك نسمة حياة، فتأتي ساعة حيث تتوقف فيها أعضاؤنا عن القيام بأعمال الخلاص. تذكرِ المحاكمة المخيفة، إذ تنتظرُ النفس التعيسة ساعة مرعبة عندما تسمع قرار مصيرها الأبدي!

🕮 لقد خاف القدِّيسون أيضاً من هذه الساعة، فكم يجب علينا نحن أن نخاف؟ ماذا يمكنني، أنا البائس، أن أقول؟ إني أئن وأنتحب بمرارة عندما أتذكر ذلك. وأنت أيضاً افعل هكذا، وستجد نفعاً جزيلاً.

🕮 **٢٠. يدوّي صوتُ الله كبوق قوي ويقول:**

🕮 "بَاطِلُ الأَبَاطِيلِ كُلِّ شَيء بَاطِلٌ" {جامعة ١:٢}. "فَإِنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسانُ لَوْ رَبِحَ العَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَمْ مَاذَا يُعْطي الإِنْسَانُ فِدَاء عَنْ نَفْسه" {مر٨:٣٦ – ٣٧}. "فِي جَمِيعِ أَعْمَالِكَ اذْكُرْ أَوَاخِرَكَ، فَلَنْ تَخْطَأَ إِلَى الأَبَدِ" {يَشوع بن سيراخ ٧:٤٠}. "لا الغنى يثبتُ، ولا المجد يصحب صاحبه، لأنه إذا أتى الموت، فهذا كله يفنى ويبيد" {من خدمة الجنازة}.

🕮 **تأمل هذه الحقيقة التي تسحق الكذبة بقوة!**

🕮 ففي كل فخ، وفكر شيطاني، توجد كذبة مموهة لتخدع الإنسان.

🕮 لذا دعونا نصلّي حتى ينيرنا الله بنور الحقيقة، فتتبدد الظلمة، ويشرق يومُ الظفر، وتسطع الحقيقة المجيدة منيرة أفكارنا وكلماتنا، فنستحق المدح أمام الملائكةِ القدِّيسين، كخدّامٍ أمناء للنعمة.

🕮 متى سيتم هذا؟ عندما يأتي اليوم الذي لا نخافُ فيه من السقوط في الكبرياء، لأنّ الشيطان يملك السلطة لمحاربتنا حتى نفسنا الأخير.

🕮 ثم يحين زمن الأكاليل والجوائز، والحياة مع الله، وانتهاء الخوفِ والدموع. "وَيَمْسَحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ" يا له من مجدٍ! هناك لن يقدر أحدٌ على سلب الفرح من قلوب المخلصين.

📖 يا يسوعي، المجد لقدرتك، وتدبيرك الفائق الوصف يا سيدي! استجب لنا يا سيدنا الحلو. إني أقبلُ قدميك الطاهرتين اللتين تعبتا وركضتا لتجداني، أنا الخروف الضال. اشف جراحاتي يا سيدي

📖 **٢١. أصلّي لتجلب نعمة المعزّي السلام لنفسكَ يا ولدي:**

📖 لقد وجدتُ سلاماً كاملاً، فقط بنعمة الله. أشعر إني خفيف كالهواء. بعد غروب الشمس، أبقى لوحدي في قلايتي الصغيرة محاولاً جمع ذهني وتركيزه بداخلي، ونحو المسيح.

📖 أبكي أحياناً بسبب خطاياي الكثيرة، متذكراً ما ينتظرني، أنا المحمّلَ بعبء ثقيل، في ساعة الدينونة العادلة، عندما يصمتُ فمي إذ لن يجد عذراً ليقدّمه، فأنا أعلم إني لم ولن أفعل أي عمل صالح في حياتي كلها. ابني المحبوب بالمسيح، ماذا سيحدث لي؟

📖 كيف سأحتمل العذابات التي تنتظرني؟ الويل لي، لأني سأصبح فريسةً للنار الأبدية! أنا أرتجف عندما أتأمل العقاب الأبدي، والحرمان من النور الإلهي! كيف سأحيا أنا البائس بدون المسيح والنور.

📖 **٢٢.** ذكر الموتِ مرشد ممتاز يساعدنا على اكتشاف حقيقة الأمور:

📖 يقول الموت: "لماذا تكنز الأشياء، لماذا تفتخرُ وتتباهى، أيها الشاب، المتعلم والمعافى؟ عندما آتي سأجعلك تعرف قيمتك! عندما ستُلقى في القبر المظلم، ستعلم عندئذ قيمة الأمور الأرضية".

📖 نحن نغادر إلى عالم يفوق الحواس.

📖 يا أولادي: لن نظل في هذا العالم المليء بالمرارة، بالحزن، بالخطيئة، والمحن. هناك حياة لا تذبل، والله سيمسح كل دمعة من أعين المخلصين، ولن يوجَدَ ألم، أو حزن، أو تنهد فيما بعد، بل فقط يوم أبدي، حياة لا نهاية لها بدون موت!

📖 هذه هي التي يجب أن نتوق إليها بإخلاص وبحماسة، علنا نربحها بنعمة الله، وننجو من الجحيمِ.

📖 **٢٣. كل شيء في هذا العالم الباطل يمرُّ ويمضي:**

📖 العالم والحياة هما "معرض"، وكل شخص يمكنه أن يشتري حياةً أبدية "مال" حياته. حكيم هو الإنسان الذي يصرف ماله "حياته" في شراء كلّ ما سيحتاجه في ساعة الموتِ، ومحكمة الله!

📖 فلنشتري إذا أموراً ثمينةً تُرضي الملك العظيم: الاعتراف، التواضع، نقاوة النفس والجسدِ من الخطايا الشهوانية، المحبّة الإلهية، الابتعاد عن انتقادِ الآخرين، والكلام البطالِ، والكذب ... الخ عندما نملك جميع هذه الأمور نصير أغنياء في أرض الله المباركة.

📖 ٢٤. "بَاطِلُ الأَبَاطِيلِ كُلِّ شَيْءٍ بَاطِل" {جا١:٢} في هذا العالم يا ولدي. هذا ما قاله سليمان الحكيمُ، بعد أن اختبر لحد التخمة جميع ملذات الحواس.

📖 لم يحرم قلبه من آية لذة، وكانَ الدمار والتعفّن نهايتها كلها. أما الذي يعملُ من أجل الله، فلن يُحرم من ضرورات الحياة هنا وحسب، بل سيشعر أيضاً بالفرح الحقيق، وبسلام الله.

📖 الغنى لا يدوم، والمجد لا يرافق صاحبه إلى العالم الآخر. الجمال يتغير، الشباب يمر وتأتي الشيخوخة، تذبلُ الصحة، تصيبنا الأمراض، والقبر يحلُّ كل شيء ويحوله إلى العدم.

📖 عندما نزور مسكننا الأخير، قبرنا. سنرى بأعيننا تفاهة الإنسان، كما القديس سيسوي الكبير عندما شاهد قبر الإسكندر الكبير وقال: مع "واحسرتاه، واحسرتاه أيها الموت! لم يكن العالم كله كبيراً كفايةً بالنسبة لك أيها الإسكندر. فكيف يناسبك الآن مجرّدُ مترين من الأرض؟"

📖 يحكم الإغلاق على أحلام المسرّاتِ الباطلة هناك في القبر، ويُداسُ كلُّ ما شغل الناس بالحب، والتضحيات تحت الأقدام.
📖 إنّ النفوس التي أدركت خداع العالم ستسخر منه في القبر منتصرةً.

📖 **يا ولدي: انتبه من هذا العالم الذي يشبه المسرح:**
📖 فالبشر الفقراء والوضعاء، يرتدون على خشبة المسرح ثياب الملوكِ والزعماء ... الخ ويظهرون بعكس ما هم عليه بالواقع، ويخدعون المشاهدين. لكن عندما ينتهي العرض، يخلعون أقنعتهم وتظهر عندها وجوههم الحقيقية.
كتاب نصائح من الجبل المقدس ج١ الشيخ إفرام فيلوثيو ـ صفحة ١٩١ ـ ٢٠٩

{١٣}
القديس أنبا إبرام

📖 **قال أنبا إبرام:**
📖 "ساعة الموت مرهوبة، وهي تأتي على الإنسان مثل الفخ، حينئذ يلحق النفس ندم عظيم وتقول: "كيف جازت أيامي وأنا مشغولة بالأعمال الفارغة التي لا منفعة لها".

📖 **وقال أيضاً:**
📖 يا أخي: "في كافة أعمالك تذكر أواخرك، فلا تخطيء أبداً".
📖 يا أخي: "احضر إلى ذهنك النار التي لا تطفأ، والدود الذي لا يموت، ففي الحال يخمد التهاب الأعضاء، لئلا تسترخي وتُغلب، وتستدركك نار حزن الندامة، وتعتاد أن تخطيء فتندم".

📖 "اقتني صرامة منذ الابتداء مقابل كل شهوة، لئلا تُغلب لها".

"لا تتعود الهزيمة {بقطع الرجاء، والتخلي عن قوانينك الحافظة لك} في الحزن {عندما تسقط}، لأن العادة طبيعة ثانية، لأن اعتياد الهزيمة لا يبين أن هناك صرامة وشهامة، بل كل حين يبني هذا الإنسان وينقض {بحكم العادة}، وفي كل وقت يخطئ ويندم".

أيها الحبيب: "إن اعتدت أن تتراخي إن قوتلت، فسوف يكون تسطير كتابة ندامتك لا يمحي إلى الأبد. من اعتاد أن يُغلب لبعض الشهوات، فذاك يصير موبخاً كل وقت من ضميره. فتحرز بكل نفسك من الخطر، حاوياً في ذاتك المسيح في كل وقت لأن المسيح هو للنفس حلاوة لا تموت، فله المجد إلى الأبد آمين.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٩٩ ـ ٣٠٠

